

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

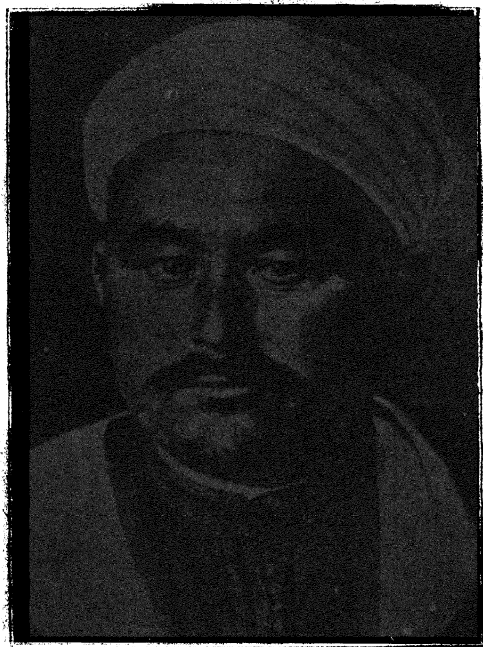
OU_190118

UNIVERSAL
LIBRARY

سيرة

الأمير محمد بن عبد العزيز الكبير الخطا

بطل الرقيق ورئيس جمهره



رسمه من قبل الفنان

عنيت بنشيد

المطبعة السلفية - ومكتبتها

شارع خيرت رقم ٤٠ ٥ تليفون ١٥ - ٧٣

سيرة

الأمير محمد بن عبد العزيز الكرام الخطا
بطل البرية ورسول جبروتها



تأليف : رشدي الصالح ملخص

عُنِيَتْ بِنَشْرِهٖ

المطبعة السلفية - ومكتبتها

القاهرة ١٣٤٣

﴿حقوق الطبع محفوظة للطبعة السلفية ومكتبتها﴾

الى شباب الامة العربية

وفتيانه الجذيرة

أقدم هذه الرسالة

التي تتضمن صفحة خالدة من تاريخ جهاد الأمة العربية الحديث
الخامس

بشرى الصالح مكي

نايلس (فلسطين)

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده * صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وبعدُ فإن جُرْثومة الحياة السكائمة في أمم هذا الشرق العربيّ ،
ما زالت تدل على وجودها بجهود رجالها . وتدفع عن ذمارها بأظفار
ابطالها ؛ مستمدّة البقاء من تاريخ يزداد مع الزمان تألقاً وبهجة ، ومن
يقين تصقلة البلايا وتجلو المحنُ صدأه . وما المعركة التي يخوض الامير
محمد بن عبد الكريم الخطابي غمراتها في هذه الايام - ومن ورائه
الغرّ الميامين من شباب الرّيف وشيوخه - إلا حلقة من سلسلة الجهاد
العام الذي ابتلي به الناطقون بالضاد تكفيراً عن سيئة رقاد الشرق
منذ استيقظ الغرب ، وتمرنّا لهم على حمل عبء المجد الذي يُعده الدهر
لقوميتهم الكبرى ، يوم يفهم أبناءها معنى الرابطة ، وسرّ الوحدة ،
ويعملون لها من سبيلي الصّاعة والثقافة
ولما كان التآلف نتيجة للتمعارف فقد رأى مؤلف هذا الكتاب
وناشراه أن يضعوا بين أيدي قراء العربية هذا السكتيب في التعريف
بأحوال الشعب الريفيّ الباسل برّاً بالقومية العظمى والوطن الاكبر .
ومن الله نرجو المثوبة

المقدمة

النضال

بين الشرق والغرب

ليس النضال القائم اليوم بين الشرق والغرب حديث العهد في التاريخ ، وليست المطامع الاشعبية التي ترنو بها الامم الغربية الى الشعوب الشرقية هي بنت بضع سنوات ، أو انها بدأت تأتت أنظار العالم بعد مآثر مصطفى كمال بطل الترك على اليونان سنة ١٩١٩ فقط . ولكن الذين يرقبون مجرى التاريخ يجدون ان هذا النزاع يرجع الى ما قبل التاريخ المدون ، وأساسها تنازع متواصل بين الغرب والشرق على السيادة والتجارة ؛ فلما استغار الفنيقيين ، وما حروب الفرس والروم ، اوحلات العرب والفرنجة ، وصراع دول أوروبا الحديثة ودول الشرق طامة والعثمانيين خاصة ، الاحلاقات من سلسلة واحدة هي ذلك النضال القديم الذي عرفته شواطئ بحر الروم .

وقد تعاقبت السنود ، ومضت القرون ورحى هذا التطاحن تشدد كلما تقدم البشر ، وارتقت الحضارة والمدنية . على ان هذا النزاع قد ظهر باجلى مظاهره في عالم الوجود ، بظهور العرب في جنوب أوروبا ، يوم كانت جيوشها تحاصر قلاع القسطنطينية من الشرق ، وتتوغل في اكتساح الاندلس من الغرب ، وبلغت أقصى شدتها يوم حادثة بلاط الشهداء (بواتية) التي تألب فيها الفرنجة على العرب لخراجهم من أوروبا خشية من امتداد نفوذهم الى شمالها ، فامسرت هذه الكارثة عن ارتداد العرب وتقهرهم الى جزيرة الاندلس ، ثم استمرت المناوشات بين العرب والفرنجة ، ولما خبت نارها الى يومنا هذا . فكان الحرب سجالا بينهم ، ولم يعدم الفرنجة أسبابا يتذرعون بها غير الحرب في الاحوال التي عجزت عنها السياسة والسيف : فقد اتخذوا الامتيازات التي منحها العرب لرعاياهم الاعاجم - وكانت سببا لتشكيل « حكومة في حكومة » - واسطة للقضاء على مملكة العرب كما اتخذوا هذه الامتيازات التي ائسعت وتنوعت فيما بعد وسيلة لمحور سلطنة آل عثمان ، فجرت هذه - اي الامتيازات - على العرب مشا كل عظيمة ، وجرت الشعوب الاعجمية على فكرة الثورة والاستقلال ، فكانت العرب تحارب في بدء امرها اعداءها

الذين في الخارج فقط فصارت بعد ذلك تحارب الامم التي تحكمها ايضاً محاولة القضاء على فكرة الاستقلال ، ولكنها فشلت وقضى على ملكها بعد ان اخرجها الفرنجة من جنوب اوربا ، وقسمت ممالكها الى ممالك ودول .

ثم وجه الفرنجة عنايتهم الى سلطنة آل عثمان التي تأسست وقتئذ ، فتألبوا عليها وعملوا على تقويض ملكها بكل وسيلة فحدث من جراء ذلك حروب هائلة تقشع لها الابدان ، كان آخرها الحرب العامة التي افضت الى اقسامها واندثارها ، ولم يبق تحت حكمها غير بر الاناضول وهذه كانت على وشك السقوط في الهاوية لولا ان تداركها حفنة من الرجال وعلى رأسهم البطل كمال باشا فانهذوها من براثن الاستعباد وأعادوا للترك المجيد والبخار

هذا ما حدث في آسيا وجنوب أوروبا وغيرها من البلدان قديماً وحديثاً . أما في افريقية فان حركة الاستعمار الحديثة فيها تمتاز عن سابقتها في تاريخ الاستعمار بأنها لم تكن مقرونة بالحروب ، بل كان أساسها المفاوضات والمعاهدات التي حددت لها نفوذ كل دولة كما أقر ذلك مؤتمر برلين ^(١) ، وقد جرى امتلاكها بسرعة عجيبة لم يهد لها مثيل ، الا ان القسم الشمالي منها ماقتى منذ وثئت اقدام الاجنبي هاتيك الديار مجاهد ويكافح في سبيل حريته واستقلاله ولم يترك سلاحاً من يده حتى هذه الساعة . وكانت بلاد المغرب الاقصى في مقدمة هذه البلدان التي ما زالت تناضل عن حريتها واستقلالها بالديف والرصاص بدون ان يثنى لشعبها عزيمة ، أو يكل ساعد ، أو يضعف ايمان وطني ، فاذا ذكرت الشعوب التي جاهدت لحفظ كيائها وقدمت أعظم الضحايا كانت الشعب العربي في بلاد المغرب في طليعة تلك الشعوب التي خلدت صفحة مجيدة في تاريخها .



(١) عقد مؤتمر برلين في ١٥ نوفمبر ١٨٨٤-٢٦ يناير ١٨٨٥ وقد نصت المادة (٣٤) من المعاهدة الدولية التي وضعت في هذا المؤتمر على ان كل دولة تسولي بعد ذلك التاريخ على جزء جديد من ارضية أو تحمله ومنطقة نفوذها وجب عليها ان تعان الدول الموقعة على المعاهدة بذلك ، وجاء في المادة (٣٥) ان الدول الموقعة ذات المستعمرات في سواحل افريقية مجبورة على ايجاد حكومة قوية بها /أمين حرية التجارة والامبيارات المنوطة

الفصل الأول

مفردات تاريخية

جغرافية بلاد المغرب الأقصى

مراكش أو بلاد المغرب الأقصى^(١) واقعة في شمال إفريقيا الغربي وتحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط ومنديق جبل طارق وغربا بالبحر الاطالتيكي وجنوبا بالصحراء الكبرى ، وشرقا لجزائر ، وهي معروفة لدى الفرنجة باسم *Mare*

وتبلغ مساحتها (٨٠٠) ألف كيلو متر مربع (أى نحو نصف مساحة القطر المصري) وعدد سكانها بحسب الاحصاءات الاخيرة اثني عشر مليون نسمة ، وهم من الجنس السامي ويسمون المغاربة^(٢) ولقبتهم العربية والبربرية ودينهم الاسلام .

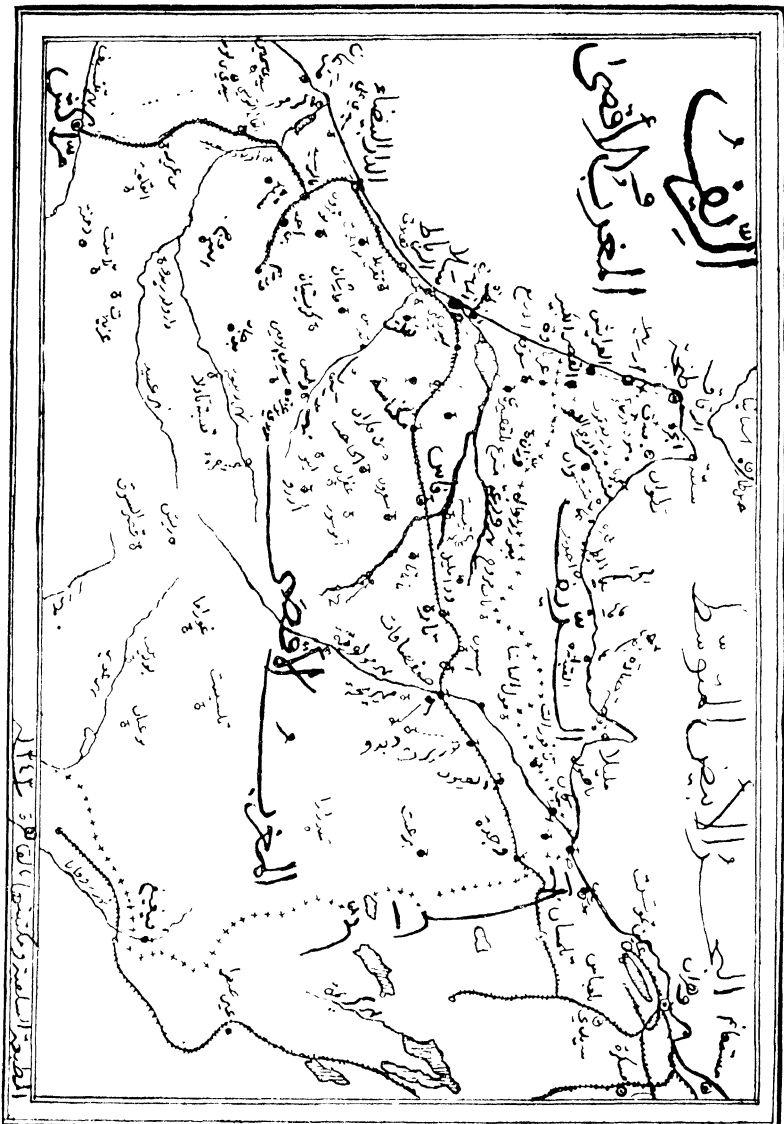
وفي هذه البلاد جبال عالية وهي شعب من سلسلة جبال الاطلس ، ومن شواخنها : وغمارة ، ومديونة وجبالا وغيرها .

وتجري في هذه البلاد أنهار كثيرة أشهرها : ملوية ، وسيدو ، وام الربيع ، ووادي ورغة ، والمخازن والتقصيف ، والاقس ، والقلقل .

وهواء هذه البلاد معتدل وترتها خصبة جيدة . وأشهر حاصلاتها الحبوب والفواكه والزيتون ، وفي كثير من وديانها وجبالها معادن ومناجم حمة .

(١) قسم العرب بلاد المغرب ، وهي الالام الإفريقية المجاورة لبحر الأبيض المتوسط ، الى ثلاثة اقسام : الاول المغرب الأقصى وهو من البحر الاطالتيكي الى تلمسان ، الثاني المغرب الأوسط وهو من تلمسان الى برقة ، ويقال لهذين القسمين (برالمدرة) لانه يمدى من فرضها الى بلاد الاندلس ، والثالث المغرب الأدنى او الشرقي وهو من برقة الى حدود مصر

(٢) اول من اطلق اسم المغاربة على سكان هذه البلاد هم الفينيقيون حيث عرفوهم باسم (ما جوديم) او (منارجيم) ومعناه المغاربة ، ولما احتل الرومانيون هذه البلاد حرقوا هذا الاسم فسموا شعبها (مأوري) والبلاد (مأوريتانية)



ومن مصنوطاتها دباغة الجلود وصناعة السجاجيد ونسج الاقشة الصوفية . وقد اشتهرت مراکش بالنقش في الجص على ظواهر الحيطان المسماة بنقش حديدة . ولما فتح معرض باريس سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) أرسل اليه مولاي الحسن بن محمد داراً من خشب على هيئة ديار فاس من هذا النقش ومفروشة فرشاً مغربياً ، فكانت هذه الدار قبلة المتفرجين .

أما تقسيماتها الادارية فهي تقسم اليوم الى منطقتين : احدهما خاضعة للحماية الافرنسية وتسمى مراکش وهي الواقعة جنوب نهر اللّقس ، ومن أشهر مدنها فاس ومراكش والرباط واغادير ومزادور والدار البيضاء والجديدة .

والمنطقة الثانية الخاضعة للنفوذ الاسباني وتحد شمالا بالبحر الابيض المتوسط وشرقا بالجزائر وغربا بالبحر الاطلانتيكي وجنوبا نهر اللّقس حتى نهر العرايش . وهي قسمان : الاول البلاد الخاضعة لسلطة الرسولي وتسمى (جباله) وعاصمتها (تازروت) ، والقسم الثاني وهو واقع تحت سلطة الامير ابن عبد الكريم ويسمى (الريف) وعاصمته (أجدر) ^(١) . وأشهر مدن القسم الاول تطوان ، وسبتة ، وطنجة ، وأزبلا ، والعرايش ، والقصر الكبير ، والشاون . وأشهر مدن القسم الثاني : مليلة ، وأجدر ، والمطير

(١) بين المنطقتين مربع قائم بين نهر تطوان والبحر ووادي الاز وطريق تطوان - الشاون . تبطن فيه قبائل كثيرة لم تكن خاضعة لواحد من هذين الزعيمين

تاريخ المغرب

(تقديم)

تاريخ المغرب الأقصى حافل بالعظم من الاعمال التي تشهد للمعاربة بالبطولة والفروسية ، وحب الاستقلال والحرية ، شأنهم شأن الشعوب العربية الاخرى لا ينامون على ضم ، ولا يسكتون عن مثله . وما فتئوا منذ العصور التاريخية القديمة بمجاهدون في سبيل استقلالهم ويزودون عن أوطانهم دون أن يني لهم ساعدا وبكل عضد ، فكان لهم في كل أدوار حياتهم كيان سياسي مستقل ومدينة مجيدة بارزة ، حتى في أشد أدوار فقرهم وضعفهم ، فلا عجب اذا رأيناهم اليوم ينشطون للذب عن حياض أوطانهم والكفاح عن حريتها واستقلالها ، ويناصبون دولة قوية العداء ويدحرونها الى البحر ولم يتساحنوا بقوة الايمان وصدق العزيمة فحسب ، لان ذلك من شأن النفوس الالوية التي تأبى الخنوع وتنفرد من الاستعباد

١ - العهد القديم

كانت افريقية الشمالية وهي المعروفة ببلاد المغرب يقطنها منذ القدم قوم يسمون (البربر) وهم مع شعب قبائلهم وكثرتهم يرجعون الى أصول ثلاثة : صنهاجة ، وكثامة ، وزناتة . واختلف المؤرخون في منشأهم وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وأورد كل فريق حججه وبراهنيه ولكن الرأي الاخير الراجح هو ما اثبته المؤرخ الاميري (جس هنري بريستيد) من انهم عرب ساميون هبطوا اليها عن طريق مصر^(١) من قبل زمن التاريخ . وهذا رأى الجمهور من مؤرخي

(١) قال العلي يوسف رس تومبيك لك الوزير العثماني السابق وزيل عمان اليوم في رساله (قصية النفوس والمجتمعات العربية) بعد ان ذكر اعتقادا على احدث الموعات الذي يحجه الممول عليها ان وطن الساميين الاصلي هو البقعة الهلالية العراق والجزيرة (بين النهرين) وسوريا (ومنها فلسطين) التي هي جزء متمم لجزيرة العرب . « ان اقدم المهاجرات السامية التي وصل الى تخليقها العلماء هي ما اثبته المؤرخ الاميري (جس هنري بريستيد) من انه قبل زمن التاريخ هاجرت جماعات عظيمة من البقعة الهلالية الشرقية فتشت غربا حتى هبطت بمصر بطريق سينا والسويس فاقام بمصر في هذا القطر وعمره هؤلاء هم اصل الشعب المصري للشم ومؤسس الحضارة المصرية ثم مشى قسم آخر منهم الى بلاد الحبشة فاستوطنا ، وظل اسم الثالث ينتقل في افريقية الشمالية قروا عديدة وقد استقرت منه جماعات هنا وهناك وهناك ووصل بعضها شواطئ الاطالنتيقي . ومما يؤيد رأي الدكتور هو ما ذكره المرحوم كمال باشا الاتري المصري اعتمادا على القوش القديمة المحمودة على حدردان معبد الدير البحري ان اجداد المصريين القدماء يدعون (الامعاء) (جنو) ولعنهم كانت العربية ، وان مريقا منهم المسمى (باعاء النعدو) او الاربيين هاجروا الى البلاد المعروفة اليوم باسم بلاد المغرب

العرب . ولما شاد الفينيقيون - وهم عرب ساميون أيضا - دولتهم البحرية العظيمة قبضوا على أزمة البلاد الافريقية الشمالية واستعمروها كما استعمروا القسم الجنوبي من اسبانيا ، وعلى أثر ذلك هاجر جماعات من صور عاصمة الفينيقيين الى هذه البلاد فاستوطنتوها ثم بنوا بلدة (قرطاجنة) ذات المجد الباذخ التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم وأسسوا دولة عظيمة تعرف بالدولة القرطاجنية عظمت شوكتهم وقوى نفوذها وبسطت سلطانها على بلاد المغرب واسبانيا ، وقد دامت هذه الدولة مدة من الزمن كانت خلالها البلاد الخاضعة لها ترتفع في مجبوحه من المدنية وال عمران واليها يرجع الفضل في حضارة أوربا القديمة ، ثم أغار الرومان عليها فبادوها وألحقوا بلاد المغرب بمملكتهم ، ومنذ ذلك الحين الى أواسط القرن الخامس الميلادي أصبحت ولاية رومانية . ولما تغلبت القبائل الجرمانية على روماهبط (الوندال) الى افريقية وافتتحوها ، ولم يكن لامبراطور الروم من سلطة فعلية عليها في ذلك المهد كما انه لم تكن للوندال بها حكومات ثابتة الدائم وفي أوائل القرن السادس للميلاد اجلى (يوسيتينان) امبراطور الدولة الرومانية الشرقية الوندال عن افريقية فعادت الى سلطان الدولة الرومانية الشرقية ، وظلت منذ ذاك الوقت ولاية رومانية الى أن افتتحها العرب

٢ - المهد العربي

بعد ان تولى معاوية بن أبي سفيان عرش بني امية وجه عنايته الى اتعام فتح افريقية وكانت الجيوش العربية قد غزتها مرتين قبل ذلك ^(١) فاوفد اليها سنة ٤٥ معاوية بن خديج وفي سنة ٥٠ عقبة بن نافع بجيوش جرارة تمكنت من التوغل الى سواحل المحيط الاطلانتيكي وأبادت جيوش الروم ، ثم بنى قلعة قيروان وأقام حاكما في افريقية حتى ثار البربر سنة ٦٥ بزعامه امير منهم يسمى (كسيله) وحاصروا قلعة القيروان فقتل عقبة مدافعا عنها وكادت أن تذهب بوفاته دولة العرب في افريقية ولكن عبد الملك بن مروان صمم على استعادتها فأرسل جيوشا كبيرة كسرت الروم والبربر شر كسرة واستعاد العرب سلطانهم على بلاد المغرب .

وفي ذلك الحين اجتمع البربر تحت لواء امرأة تعرف (بالسكاهنة دهياء) وهى من قبائل زناته وانقضوا على الجيش العربي فارتد الى برقة ، وبسطت السكاهنة سيادتها على بلاد المغرب مدى خمسة أعوام حيث أرسل عبد الملك مدداً للجيش العربي فاغار عليها وقتلها في الاجم بعد

مقاومة عنيفة . فاضطر البربر الى عقد الصلح ، ثم ولي موسى بن نصير ولاية افريقية فاستولى على (طنجة) آخر معاقل البربر وطهر المغرب من العصاة والثوار ثم أغزى مولاة طارق بن زياد والبيش حاكم طنجة الاندلس فافتتحها ولحق هوبه فـكـل فتحها وألحق هذه البلاد التي كانت في ذاتها ملكاً ضخماً ودولة عظيمة بإمـاـل افريقية

وقد تولى مقاطعة المغرب ولاية عديدون من قبل الامويين والعباسيين ، عملوا على انعاشها وتمدينها ، فأسسوا المؤسسات والمعاهد ، ونشروا العلم والصناعة وغير ذلك من الاعمال العظيمة التي لا تزال ناطقه بفضل العرب حتى اليوم ، كما أن هذه البلاد كانت مركزاً حربيّاً عظيماً يعتمد عليه الخلفاء في غزواتهم البرية والبحرية ، ففي القيروان - حيث كانت دار الصناعة البحرية - يجتمع الاساطيل وتحتشد الجيوش ، ومنها تسافر الى الجزر وسواحل أوروبا للغزو والفتح .

ولكن وقائع الخوارج في افريقية ، وظهور القلاقل وتمكر صنفو الامن فيها واضطراب حالتها التجارية جعل دخلها المالي لا يوازي نفقاتها ، لما تتطلبه اقلل من جيوش واعتماد ، فكانت مصر تدفع من خزينتها مائة ألف دينار سنوياً الى خزينة المغرب لسد هذا العجز .

ولما عيت الخلية دار الخلافة ورأت ان الحالة في المغرب تزداد سوءاً بحيث لا يرجى رتقها منحتها هارون الرشيد سنة ١٨٤ هـ ٨٠٠ م اللامركزية الواسعة وعهد بأمارتها الى ابراهيم بن الاغلب ولا عقبه من بعده على ان يترك المئة الف دينار التي كانت ترسل من مصر الى المغرب وعلى ان يتحمل هو من بلاد المغرب اربعين ألفاً سنوياً

٣ - عهد الاستقلال

بقي ابن الاعراب وآله محافظين على ولائهم للعباسيين يخطبون على المنابر باسم خلفاء بغداد ويأتمرون بأمرهم ويعملون على اخضاع البلاد النائرة عليهم ، ولذلك لا يمكننا ان نعد اماره بنى الاغلب مبدءاً لاستقلال المغرب وانفصاله عن مركز الخلافة ، وانما التاريخ الحقيقي لهذا العهد - عهد الاستقلال - هو يوم ظهور ادريس بن عبد الله من احفاد الحسين عليه السلام في ولبلى بمراكش سنة ١٧٢ (٧٨٨ م) .

الدولة الدريسية : ١٧٢ - ٣٧٥ هـ (٧٨٨ - ٩٨٥ م) . على أثر فتك الخليفة العباسي الهادي بن المهدي بالحسين بن علي من آل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فرحمه ادريس بن عبد الله

الى مصر فبلاد المغرب واستقر في مراکش، فتجمعت حوله قبائل البربر وبايعته بمدان خلمت عصا الطاعة للعباسيين ، وقويت شوكرته واسس في بلاد المغرب دولة تنسب اليه ، كان من امرها ان بسعات سلطانها على المغرب الاقصى واللاوسط واقامت في هاته الديار بمدينة زاهرة . وعمراناً عظيماً ، وقد اشتهر من أمراء هذا البيت يحيى الثالث ابن ادريس بمقدرته وعلمه ، فكان اعلام قدراً وأبعدهم ذكراً وأكثرهم عدلاً وفضلاً . ولكن عباب الفاطميين طلى على ملكه فآفرقه ، واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فأصبح امراؤها عمالاً خاضعين لدار السلطنة الفاطمية .

ولما رأى عبد الرحمن الناصر ان الدعوة الفاطمية اجتاحت افريقية الى شواطئ الاطالنتيك وأخذت تهدد الاندلس ، اجتاز البحر بجيش جرار الى سبته واخضع القسم الغربي من المغرب الاقصى لسلطانه وبقي القسم الاخر تحت نفوذ الفاطميين .

ثم توالى النزو من الطرفين عليها فكانت تخضع تارة للفاطميين وآونة للامويين الى ان قتل الحسن بن كنون سنة ٣٧٥ . وبقلة انقرضت دولة الادارسة (١) ودخلت في حوزة الامويين فاختر المنصور عندئذ لادارتها زيري بن عطية زعيم مفراوة أشد قبائل البربر بأساً .

الدولة المفراوية : بعد وفاة زيري المذكور خلفه ابنه المعز على ولاية المغرب ، فلبث هذا في طاعة الامويين ينشر دعوتهم ويوطد سلطانهم فيها حتى اضطرب جبل الخلافة بالاندلس سنة ٤١٧ فقطع وقتئذ ذكرهم من الخطبة وطرد عمالهم واعلن استقلاله ، وتولى الملك بعده خمسة من سلالته الى ان استفحل امر المرابطين سنة ٤٦٢ حيث قضوا على ملك بني مفراوة وحلوا مكانهم على عرش المغرب .

دولة المرابطين : نشأت هذه الدولة في جبال البربر عام ٤٥٠ ، فأخذ اميرها أبو بكر بن عمر يجاهد في سبيل الله ونوطيد الايمن في اصقاع المغرب ، وجاء بعده امراء ساروا على خطاته وعظم نفوذهم وكان لهم خدمة جليلة في نشر النفوذ العربي وقطع دابر الفساد واشهر هؤلاء الامير يوسف بن تاشفين ، فقد امتد سلطانها على بلاد المغرب كلها من حدود مصر الى سواحل المحيط الاطالنتيكي ، وبني مدينة مراکش واتخذها عاصمة لملكه ، وقطع خطبة الفاطميين ، وخطب للعباسيين فوجه عليه الخليفة العباسي المقتدي لقب (امير المسلمين)

(١) الى هذه الاسرة الكريمة ينسب السيد الادريسي صاحب مسير في الدين والسيد السنوسي زعيم بركة وطرابلس . وعلى رواية ان الاخير يمت بنسبه الى اسرة الخطابي

وقد عظم نفوذه حتى استغاث به العرب في الاندلس فعبرها عام ٤٧٩ وصدّم جيش الفرنجة في موقع (زلاقة) فهزمه هزيمة شنعاء ، ثم محامولك الطوائف وبسط نفوذه على اكثر امارات الاندلس ، مما افضى الى انتماش العرب في الاندلس حينئذ من الدهر .
وسار ابنه الامير علي على قدم والده في بسط سلطان المرابطين ودفع غارات الافرنج فاسترد منهم مواقع كثيرة

وفي عهد الامير علي ظهرت فئة في جبال المصادمة تدعى بالموحدين يقودها محمد بن تومرت ، ما لبثت ان اشتدت قوتها وعظمت شوكتها في البلاد . ثم قتل دعاتها الامير اسحاق آخر امراء المرابطين سنة ٥٤٢ وبموته انقرضت دولة المرابطين بعد ان لبثت قرناً ونيفاً .

دولة الموحدين : خلف ابن تومرت في الحكم احد مريديه عبد المؤمن بن علي ، فكان حازماً حافلاً طموحاً تاقب بالقب (أمير المؤمنين) وابطل خطبة العباسيين ووصل على بسط نفوذه في بلاد المغرب كلها وسير حملة برية وبحرية الى الاندلس وصدّم جيوش الافرنج وبسط سلطانه على اكثر الامارات العربية الباقية فيها فاصبحت بلاد الاندلس كلها خاضعة له
وقد قام عبد المؤمن بعمل عظيم في بلاده لم يسبقه اليه احد في المغرب وهو مسح الاراضي وتخطيطها ووضع الخراج عليها وفاقاً لمساحتها . وحدث الالعب الرياضية ومنها الكشافة في المدارس وعنه اقتبسها الفرنجة (١) .

ومن الموحدين الذين اشتهروا أمير المؤمنين المنصور بالله فقد كان ذا حزم وسياسة ، جاهد في الافرنج بالاندلس جهاداً عظيماً وهزمهم مرات كثيرة أشهرها في موقعة (آلارك) ، فذاع صيته واسمه حتى ان السلطان صلاح الدين الايوبي طلب منه المعونة لدفع غارات الافرنج عن بيت المقدس ، وقد زهت البلاد في زمنه بالعلوم والعمران ، وأحدثت المعاهد الخيرية والمستشفيات ودور العجزة والمدارس ، واسس مرصداً في مدينة (اشبيلية) بالاندلس . ونبغ كثير من رجال

(١) ذكر صيا باشا الوزير التركي في كتابه (تاريخ الاندلس) وأبيه (لوتير فياردو) في مؤلفه (العرب ومغاربة الاندلس) ان هبة بن الحجاج والى الاندلس (عام ١١٦ - ١٢٣ هـ) أثنأ طائفة من الدرك الفرسان أعدها لقطع دابر المفسدين وتوطيد الأمن في البلاد سهاها بالكشاف أو الكشافة .

ولما اجاز عبد المؤمن الاندلس وشاهد نظام الكشاف هذا اعجب به ايما اعجاب ، وعند عودته الى المغرب الاقصى أسس المدارس وأحدث بها الالعب الرياضية كما ذكر صيا باشا ، ومنها الكشافة بعد ان تلب نظامها من قطع دابر المفسدين الى نشر التفضيلة وقمع الرذيلة .

العرب وفلاسفتهم ، كابن زهر وابن باجة وابن رشد وابن حزم وابن الطفيل وأصبحت بلاده تفتح بالمهاجرين من العرب والمسلمين ، ومن أشهر القبائل التي هاجرت اليها قبائل بني هلال العربية الشهيرة .

وبعد وفاته أخذ الوهن يتسرب الى الدولة وتقوذاها فقامت الثورات الداخلية التي أدت الى استقلال بعض الامراء في المغرب والاندلس ، فبلغت مدة حكمها نحو قرن ونيف الى أن قضى عليها بنو مرين .

المرحلة المربنية : على أثر انهزام جيوش الموحدين في وقعة العقاب بالاندلس وتضعف حكمهم في بلاد المغرب ثار أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق به يحيى المريني في مراكن وأعلن استقلاله فيها فسميت دولته (الدولة المربنية) وقد أخضعت لحكمها المغرب الاقصى والاوسط واستعان العرب في الاندلس بالمنصور بالله يعقوب اشهر امراء بني مرين فأجاز الاندلس مراراً وحدثت بينه وبين الافرنج عدة وقائع كان النصر فيها حليفه ، فهابته الافرنج وطلبت مودته . وقد قطع خطبة بني حفص وخطب لنفسه وتلقب المنصور بالله وشيد مدينة (الدار البيضاء) . وسار خلفه يوسف على خطة والده فحارب الافرنج وأنشأ الاساطيل وأسس المدارس والمعاهد وبنى جامع تازا المشهور وعلق به اثريا الكبرى التي بلغت وزنها اثنين وثلاثين قنطارا من النحاس الخالص وعدد كؤوسها ١٥٤٠٠ كأساً

ومن مشاهير هذه الاسرة السلطان أبو الحسن فقد كان أبعد ملوكها صيتاً وأكثرهم آثاراً بالمغربين والاندلس ، ففي عهده عم العدل ، وانفتحت للناس أبواب المعاش والترف ، واستبحر العمران ، وظهرت المدنية بأكل معانيها .

ولما ضعف شأن هذه الدولة استولى البرتغال على سبتة وطنجة ، واختل الامن وتوقف دولا العمل ، فأدى ذلك الى الثورات والفتك بالسلطان عبد الحق بن أبي سعيد سنة ٨٦٩ وبقتله انقضت هذه الدولة ، وقد كانت البلاد في عهدهم وصلت الى اوج عزها ، واشتهر من سلاطينهم أبو سعيد عثمان وأبو فارس عبد العزيز والامير علي بالعلم والادب ونبع في عصرهم علماء فطاحل امثال خلدون وابن الخطيب وابن بطوطة وابن البناء الرياضي وغيرهم

المرحلة الطواسنية : بنو وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق وقد استخدمهم هؤلاء في وجوه الولايات والوزارة ، ولكن تضعف ادارة اسرة عبد الحق في آخر

عهدهم اطمع أبا عبد الله محمد الوطاس بالملك ، فنار على بني صمه وتفاقم خطبه فدانت له البلاد وتبوأ عرش المغرب . وفي عهد مؤسسها هذا وقعت كارثة الاندلس العظمى باستيلاء الاسبان عليها فتوافد آخر بني الاحمر أبو عبد الله الصغير ومئات الالوف من المسلمين الى المغرب يحملون تذكاراً يحوي ولا جرم في مطاويه أجل العظمت ، وأعظم التذكارات ^(١) . فاقنطم لهم سلطانها مليلة وتطوان وسلا وضواحيها ، وهذه البلاد هي واقعة في منطقة الريف الشرقي الخاضعة للأمير ابن عبد الكريم زعيم الثورة اليوم ، واستوطن الملك أبو عبد الله فأسس فأقام فيها الى أن وافته الاجل المحتوم ، فكان أيام هذه الدولة الوطاسية أيام نحس وعزاء وضعف وشغب ، فطمع الفرنجة بملكها فاستولى البرتقال على أزبلا وأسفى وآزمود وغيرها من الثغور ، وحدثت فتن وثورات في الداخل اودت بحياتها .

الدولة السعربية : قامت هذه الدولة بزعامه أبي عبد الله محمد على أثر فشل الوطاسيين وعجزهم عن صد هجمات البرتقال فالتف الشعب حوله واشتدت شوكته وجاهد هو وخلفاؤه بالبرتقال جهاداً عظيماً كان النصر حليفه في أكثر الوقائع ، فانسحب الفرنجة عن بعض الثغور التي كانوا استولوا عليها ، ثم عاود البرتقال الكرة على بلاد المغرب فحدثت معركة كبرى في وادي الحازن اسفرت عن انكسار جيوش البرتقال وقتل ملكهم

وقد اشتهر من السعدية السلطان منصور باقدامه وشجاعته وحسن تديره ، وبلغت الدولة في أيامه الى أعلا درجات القوة والعظمة ودانت له الصحراء والسهول ودان حتى تنبكتو ، وعم في عهده الرخاء وانتشرت المدارس وشيد آثاراً عظيمة أعظمها قصر البديع في مراکش وفي أواسط القرن الحادى عشر للهجرة وقع الشقاق بين الاسرة المالكية ففضى عليها

الدولة الفيلسوية أو الحسنية : لما شعر المغاربة بمغبة الحالة التي نتجت عن تطاحن الاسرة

(١) حدثنا الشهيد عبدالغنى المريني انه اجتمع في باريس سنة ١٩١٢ في مغربي من سلالة بني الاحمر يحمل في حزامه مفتاح قصر الحمراء بقرطاجنة ، وروى الاستاذان السيد محمد كرد علي رئيس الجمع العلمي بدمشق وأحمد باشا زكي البعانه المشهور ان كثيرين من جالية الاندلس في بلاد المغرب ما برحوا الى اليوم يخلف الوالد منهم لبنه في جملة خلفائه مفتاح داره في الاندلس على أمل أن يعود أولاده اليها ذات يوم ويفتحوها وينزلوها . وأيدت ذلك جريدة (دوتشيه الجنيته تسياتونغ) الالمانية في عددها الصادر بتاريخ سبتمبر ١٩٢٤ حيث قالت : وانه لدو شأن رمزي ان كثيرا من البيوت المرأ كشية تحفظ بمفتاح كثير من القصور القديمة القائمة في طابطة وقرطبة وغرناطة كما نأما من كانوا يؤأ أربابها سيهودون الى سكانها وتمود اليهم أملاكهم المفقودة ١٠ هـ

السعدية ، بايعوا (مولاي علي الحسني) - الذي كان قد قدم في بدء القرن الحادي عشر مهاجرا من الحجاز واستوطن في تافيلالت - بالملك فاعتلى عرش الدولة الفيلالية أو الحسنية التي لا تزال تحكم المغرب الى يومنا هذا ، ولما توفي خلفه ابنه (مولاي رشيد) فولاي اسماعيل الكبير أشهر سلاطين هذه الاسرة الشريفة ، فقد كان سياسيا ماهرا وشجاعا مقداما ، دانت لحكمه المغرب الاقصى والسودان ، وطرد الانكباذ من (طنجة) والاسبان من (العرايش والمهدية) والبرتغال من أزبلا ، فهابته الملوكة ، وخشيته الدول فطلبت وده وصداقته حتى انه طلب الزواج مرة بابنة لويس الرابع عشر .

وفي عهد مولاي محمد بن عبد الله غم قرصان البحر مركبا فرنسياً أتوا به الى العرائش ، فهاجمها الاسطول الفرنسي ساوي ورمها بمدافعه ، ولكنه عاد خاسرا ، وطردت جيوش المغرب البرتغال من مدينة (الجديدة) التي كانوا استولوا عليها قبل مدة .

وفي هذه الاثناء وقع نزاع بين امراء العائلة المالكة كاد يقضى على عرشها لولا ان تداركها (مولاي سليمان) بحكمته ودرأته فأزال هذه المشادة وسوى الخلاف وأعاد للمملكة عزها ومجدها وساد الأمن وعم العدل في البلاد . ومنع القرصان فأجبتة أوروبا وصداقته دولها حتى انه أرسل سفيراً الى نابليون الاول انبراطور فرنسا ، واستحكت حلفاتها حتى أيام مولاي محمد فقد كانت بينه وبين نابليون الثالث مخابرات ودية كثر على أثرها قدوم التجار الفرنسيين الى المغرب فنحنهم مولاي محمد وغيرهم من الفرنجة واليهود امتيازات دينية وتجارية ، كانت هذه سببا غير مباشر لطمع الفرنسيين في مراکش

ولما جلس مولاي عبد العزيز على عرش المغرب تحفزت فرنسا لبسط نفوذها على هذه البلاد ، فكانت انكثارات واقعة لها بالمرصاد خشية من اقترابها الى جبل طارق ، ولما حل عام ١٩٠٤ جرت مذاكرات بين انكثارات وفرنسا أسفرت عن توقيع عهدة في ٨ ابريل نصت المادة الاولى منها على تنازل فرنسا عن حقوقها في مصر لآنكثارات ، والمادة الثانية على ان فرنسا لا ترغب في اجراء تبديل الحالة السياسية في مراکش ، وان بريطانيا تعترف بأنه من شأن فرنسا أن تسهر على سلامة تلك البلاد (أي مراکش) وان تقدم لها جميع ماتحتاج اليه من المساعدات الإدارية والاقتصادية والمالية والاصلاحات العسكرية ، وأنها - أي بريطانيا - لاتمانع في بسط نفوذ فرنسا على مراکش بشرط المحافظة على حقوقها وامتيازاتها

وفي شهر اكتوبر من السنة نفسها عقد اتفاق بين فرنسا واسبانيا حددت فيه مصالحهما في
مراكش ، فأحدث ذلك ضجة كبرى في الاندية الالمانية ، واعتبرته الحكومة الالمانية عملا
مغائراً لنصوص عهدة برلين ، وسافر على الاثر الانبراطور غليوم الى طنجة وصرح هناك بأنه
قادم لزيارة سلطان مراكش المستقل الذي ينظر الى حقوق الدول وامتيازاتها بنظر المساواة ،
وطلب وضع المسألة المراكشية على بساط البحث ، فاذعنت فرنسا حينذاك ووافقت على عقد
مؤتمر دولي عام لوضع حد نهائي لهذه المشكلة ، فعقد المؤتمر في الجزيرة - احدى مدن الاسبان -
حضره مندوبو الدول جميعها ، ووضع في ٧ ابريل ١٩٠٦ عهدة تحتوي على ١٢٣ مادة جاء فيها:
١ - الاعتراف باستقلال السلطان

٢ - المحافظة على كيان المملكة المراكشية تحت حماية فرنسا

٣ - الحرية التجارية للدول الموقعة وغيرها من المسائل .

على ان المراكشيين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمر ، فقامت ثورة بزطامة الرسولى ارسلت
فرنسا على أثرها قوة لانجدها ، واحتلت العوجاء والدار البيضاء والشاوية ، وجاءت اسبانيا
على الاثر خشدت قوات في مليلة وسبتة ، فازداد اذ ذلك شغب المغاربة ، نخلعوا السلطان
عبد العزيز عن كرسي المملكة وولوا مكانه مولاي عبد الحفيظ . فاعادت المانيا اعتراضها بكل
شدة وجرت مذاكرات بين مندوبي فرنسا وألمانيا للاتفاق فلم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي مارس سنة ١٩١١ هاجت القبائل مدينة فاس ، فاستنجد السلطان بالجندود الافرنسية ،
فارسلت فرنسا قوة لحماية السلطان احتلت في شهر مايو فاس ، وفي الوقت نفسه احتلت الجنود
الاسبانية المراكش ، فعدت المانيا هذا العمل مغائراً لاتفاقية الجزيرة ، وارسلت اسطولها الى
(أغادير) وعقدت على اثرها مؤتمر في الجزيرة يوم ٤ نوفمبر ١٩١١ اعترفت بموجبها ألمانيا :

١ - بحماية فرنسا على مراكش لقاء تنازلها لالمانيا عن ٢٧٥٠٠ كيلو متر في السكونفو .

٢ - ان تحتل فرنسا أى مقاطعة في مراكش تراها مناسبة لحفظ الامن .

٣ - ان تمثل فرنسا السلطان بأموره الخارجية .

٤ - حرية التجارة في هذه البلاد .

وبعد انقضاء المؤتمر وقعت معاهدة يوم ١٢ مارس ١٩١٢ بين مراكش وفرنسا اعترف
سلطان المغرب بموجبها ان بلاده دخلت تحت حماية فرنسا ، فثار الاهلون على الاوربيين في فاس

وقتلوا ٦٨ منهم فبعثت فرنسا بالجنرال ليوتى لاختاد الثورة ، وحدثت بينه وبين المغاربة معارك انتهت بفشلهم وتنازل مولاي عبدالحفيظ عن العرش ، فقبوا مكانه مولاي يوسف السلطان الحالى وكانت اسبانيا تدعى حق الحماية على جانب من المغرب الاقصى فاتفقت هي وفرنسا في نوفمبر من تلك السنة على تحديد مصالحهما ونصيب كل منهما من تلك البلاد .
ثم حدثت ثورات عديدة في الحرب العامة وبعدها يطلع عليها القارىء في الفصول التالية .

اسبانيا والمغرب

قد يظن السواد الاعظم ان الحرب التي نشبت بين اسبانيا ومرا كش قد بدأت منذ اقتسام اسبانيا وفرنسا للمغرب الاقصى أو أنها وليدة الحرب العامة التي هزت نفوس الشعوب والامم وأزالت الغشاء عن نيات المستعمرين ، فوقع الاصطدام بين المستعمر (بالفتح) والمستعمر ولكن الذين يتعمقون مجرى الامور في هذه البلاد يجدون أن النضال بين الاسبانيين والمغاربة قديم جداً يرجع الى القرون الاولى من التاريخ ، وذلك لان الطليعة التي اوجدت هاتين المملكتين متاخمتين لا يفصل بينهما الا بحر الزقاق الذي يترأى الساحل منه قد كونت من المغاربة جسراً للفتاحين والمستعمرين يجتازونه الى بالعدوة الاوربية — أي الاندلس — وقد ذكرنا التاريخ أن جيوش الفينيقيين والقرطاجنيين التي هاجت الاسبان في عقر دارهم واستعمرت القسم الجنوبي منها كانت من المغاربة ، كما انهم كانوا عضد موسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرها القوي وسلاحهم القاطع في فتوحاتهم العظيمة الاسبانية وتشبيدهم لبنيان الدولة العربية ولما عزقت الوحدة وتشعبت السكك في الاندلس وصار الامر الى ملوك الطوائف فاستأسد الفرنجة استصرخ الانداسيون اخوانهم من وراء البحر فوافاهم مدد المرابطين وأجاز يوسف ابن تاشفين وأعقبه الى الاندلس بجيوشه فردوا عادية الفرنجة واسترجعوا كثيراً من البلدان . ولما قامت دولة الموحدين اقتدى عبد المؤمن بسلته في الجهاد واعمل السيف في رقاب الاعداء فرد كيدهم في نحرهم

وكذلك نهر من بعد هؤلاء بنو حفص ومرين فامدوا اخوانهم في الاندلس بالمال والرجال وهكذا دواليك فكانت الاجازة والجهاد اذ ذاك شان ذوي القرابة من ملوك المغرب فامتلات

الاندلس بأقبال القبائل والامراء من المغاربة

ولما وقعت الكارثة الكبرى التي أفضت الى جلاء العرب عن الاندلس سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) وانقلاب فلولها مرتدة الى مراكش ، اعتزم ملوك الكاثوليك — وهو الاقب الرسمي لمملوك الاسبان — ملاحقة هذه الفلول والتبسط فيها وراء جبل طارق ، فوضعوا خطة للاستيلاء على بلاد المغرب حتى تخزم مصر ، فانقلب الحرب بين اسبانيا والمغرب من ذلك الحين الى دفاعية من الجانب الافريقي بعد أن كانت هجومية . ولكن مناجم اميركا وثروتها استهوت الاسبان . فصرفوا النظر مؤقتا عن المغرب واكتفوا بالتزول في بعض الثغور ككيلة وسبتة بعد أن صالحوا قبائل مراكش وعقدوا معاهدة مع سلطانها

وفي أوائل القرن العاشر للهجرة خرج خير الدين باشا بربروس واخوه (أروج) غازين في البحر وحاصرا تلسان فاستغاث صاحبها بإسارل كان ملك اسبانيا فامده بقوة عظيمة ؛ ولكنه غاب على أمره فانقلب خاسراً

ثم حاول الاسبان امتلاك المغرب الاوسط والادنى وجردوا حملات متتالية لغزوها ؛ فسكان خير الدين بربروس يتصدى لهم بمساعدة سكانها من المغاربة وحدثت بينهما حروب عديدة كانت سجالا الى أن تمكن بربروس من طردهم نهائياً فاستولى على المغربين وألحقهم بملاك آل عثمان وفي أواخر القرن العاشر للهجرة (١٦٠١) انضم الكثير من مهاجري عرب الاندلس الى القراصن للانتقام من الاسبان ؛ فتوالت هجماتهم على ساحل الاندلس وتفاقم خطبهم ، فوجه الملك فيليب اذذاك قوته الى اضطهاد البقية الباقية من عرب الاندلس فقام هؤلاء بثورة عظيمة كادت تسفر عن استرداد الاندلس من الاسبان ^(١) ولكنها لم تلبث أن خمدت نارها فطرد البقية الباقية منهم الى افريقية ثم جاز حملة على المغرب الاوسط فاستولى على تونس ، ثم استردها الترك من بعد بضعة اشهر ، فسار جيش الاسبان منها الى العرائش من ثغور مراكش لامداد السلطان محمد الشيخ من السعديين وانفاذه من الثوار . فاحتلها الاسبان وبقوا فيها الى أن

(١) بقي الحرب منذ سقوط غرناطة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢) سجالا بين العرب والاسبان في الاندلس الى أن جاءت سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠) وحدثت الحكومة الاسبانية الخناق عليهم ونكبت بهم ، ولكنها بذلك الشفوفان قوت عصبيتهم ، وحدثت كلهم ، فتحصنوا تحت راية زعيم من بقايا الامويين اسمه (ابن أمية) ، وحاربوا الاسبان حروبا شديدة ثم مالبت تلك النشالة ان فتكت بزعميها وأقامت عليها ملكا آخر اسمه (عبد الله بن أبو) ، وقال مؤرخو الفرنجة انه كان ينجح في كسح الدولة الاسبانية ، لولا ان كلمة القوم تفرقت ووجدتهم تشعبت ، ثم ضيق الاسبان الخناق عليهم حتى ابادوهم في سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠)

دحرم عنها مولاي اسماعيل الكبير سنة ١١٠٠ هـ (١٨٨٨)
ثم توالت المناوآت بين الاسبانين والمغاربة حول الموانئ الساحلية بجزراً وبراً نحو مائتي سنة
دون أن يتمكن الاسبان من التغلغل في داخل البلاد المغربية الى ان احتلت فرنسا الجزائر سنة
١٢٤٦ (١٨٣٠) فبذلت اسبانيا جهوداً عظيمة لاقصائها عنها ومدت الامير عبد القادر بمساعدات
كبيرة وحرضت المراكشيين على معاونة اخوانهم الجزائريين

ولما اخضعت فرنسا الجزائر وعقدت معاهدة مع مراكش سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) حددت
بها النخوم بين الجزائر ومراكش ، أصبحت الدول تهتم اهتماما كبيرا لشئون مراكش وتتسابق
الى توسيع نفوذها فيها كما سئذ كره في مسألة طنجة ، فكانت اسبانيا في مقدمة هذه الدول
التي جعلت قضية مراكش من القضايا الاولى في مسائلها الخارجية

ثم جاء مؤتمر الجزيرة الذي عقده سنة ١٩٠٦ ففضى على استقلال المغرب الأقصى رغم
ارادة الاهالي ، وجزأه الى مناطق سلطة ونفوذ . وكان نصيب اسبانيا من هذه الغنيمة
المقاطعة الريفية وما جاورها من الجبال القاحلة ، وما بقى من البلاد المراكشية قد دخل في
حيازة فرنسا ونفوذها

ولكن اسبانيا رغماً عن قرار المؤتمر فأنها لم تجرؤ على احتلال الريف الى سنة ١٩٠٩ حيث
أزالت فرنسا جنودها في منطقة نفوذها وباشرت في تنفيذ الخطة التي رسمتها فاضطرت وقتئذ
للقيام بنفس العمل في منطقتها الريفية فارسات جيشا الى مليلة وسبتة والعرايش لاجل حماية الولاة
فأبى الريفيون قبولهم والتخلى عن بلادهم للمستعمرين ؛ ورأوا ان المصلحة كل المصلحة في المدافعة
عن كيانهم وأوطانهم فمعدوا العناصر الى مقارعة كل من يجب اخضاعهم واثارت قبائل انجرة
وجبالا^(١) بزطامة الريسولي^(٢) المشهور فشرعت السلطة الاسبانية في معالجتهم تارة بالنف

(١) تنظن قبائل أنجرة في المئات الواقع بين سبتة وطانجة وطانوان ، وقبائل جبالا على سواحل نهر اللانس
الذي يصب عند نهر العرايش

(٢) الريسولي - هو مولاي احمد بن محمد بن الريدولي الزعيم المراكشي المشهور ولد سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧)
فلما شب أخذ يفرز جيرانه ، ولما تقام شره قبض السلطان عليه وسجنه خمس سنين في (موطادور) وبعد خروجه
من السجن اختطف مراسل جريدة التاميس في طنجة وأشخاصا آخرين ولم يطلق سراحهم الا بعد أن أطلق السلطان
سنة عشر من رجاله كانوا رهن السجن وفي سنة ١٩٠٤ اختطف امريكيين فنال لثاء اطلاق سراحهما فدية قدرها
١١ الف جنيه وعينه السلطان حاكماً لمنطقة طنجة ولكن السلطان اضطر أخيراً الى اقالته فزاد الى الجبال واعان
وصيانه مرة أخرى وفي سنة ١٩٠٧ أسر السبر هنري ما كان من الانكازي قائم جيش سلطان مراكش فبقى في

والصرامة وطورا باللين والسياسة فلا الصرامة أرهبتهم ولا السياسة ألانتهم فظلوا حتى أوائل الحرب العامة حيث اتفقت السلطة مع الريسولى وأطاعت عليه لقب أمير الجبل ومدته بالخناجر والاسلحة واغدقت عليه الاموال ؛ ولكنه بدلا من أن يحقق أغراضها اتفق في زمن الحرب مع ضباط فرقة الالماني - الترك لنشر الدعاية ضد فرنسا في مرا كش فقهي يناوئ الاسبان من جهة ويثبت الدعاية ضد فرنسا من جهة ثانية بالاشتراك مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطاطبي بطل الريف اليوم والامير عبد المالك الجزائري^(١) الى ان عقدت الهدنة سنة ١٩١٨ حيث عينت اسبانيا الجنرال برانجر مندوبا ساميا لجرد حملة على الريسولى وقبائله اسفرت عن اخضاعه واحتلال مدينة شيشوان

وبينا كان الجنرال المندوب يقوم بهذا العمل في المنطقة الغربية ، كان معاونه الجنرال سلفستر يتبنا لقيام بنفس العمل في المنطقة الشرقية التي يرأسها الامير ابن عبد الكريم ، خدثت الثورة العظيمة وضرب الامير الخطاطبي الاسبان الضربة المؤلمة التي لا يزال صداها يرن في أربعة اركان المعمور على نحو ما سندكره بالتفصيل

أسره عدة شهور ولم يطلق سراحه الا بعد ان اقتدى بهشرين الف جنبه ثم قام بثورات مختلفة كان لبعضها التأثير السى على مصر بلاده . وفي فبراير ١٩٢٥ دفعه الحسد الى مواءة بطل الريف فأسره رجال عبد الكريم ومات في الاسر وفي ابريل سنة ١٩٢٤ حاول الاسبان ان يستميلوه ويدعوه الى قتال الامير ابن عبد الكريم فيضربوا البلاد بعضها بعض وذلك بان يبنون خلافة للسلطان في المنطقة الاسبانية ويحملوه صاحب السلطة العليا في الاراضي الريفية ، ولكن حركتهم هذه أخفقت لاسباب جمة أهمها اياه مولاى يوسف الذي لا يزال صاحب السلطة الشرعية على البلاد لاهتراف هذا الحليفة ، ولان صداقته مع ابن عبد الكريم متينة جدا ، ولذلك فضل الانسحاب ظاهرا من الميدان واوعز سرا لقبائله بمساعدة اخوانهم فثارت في وجه الاسبان وامعات السيف في رقاب جيوشهم .

(١) الامير عبد المالك — هو نجل الفريق محيى الدين باشا عضو مجلس الشيوخ العثماني السابق ، ولد في دمشق واتم تحصيله في مدرسة بيروت للتجيزية ، ثم التحق بمصر (يلدز) مرافقا للسلطان عبد الحميد . ثم فر من الاستابة على اثر سعاية ردت عنه ، وجاء الى الاسكندرية ومنها الى جبل طارق فالمررب الاقصى ، فبقى هناك الى أن سمحت له الحكومة الفرنسية بالعودة الى الجزائر فعاد اليها وانظم في سلك الجيش الافرنسي فيها ثم عين قائدا لقوة انشطرة المراكشيه في طجة ، وهي القوة التي قضى مؤتمر الجزيرة بتأليها ، وعند ما نشبت الحرب العامة فر الامير عبد المالك الى الحدود ودخل المنطقة الاسبانية وحمل يات الدعاية لالمانيا وبحرض القبائل ضد فرنسا . وبعد انتهاء الحرب العامة عينته السلطة الاسبانية حاكما على قبائل صنهاجه وبقي في هذا المنصب الى أواخر عام ١٩٢٣ . املعلافه مع مولاى ابن عبد الكريم غير حسنة ل هي سببها جدا . فحدث في أول نهضته ان كتب الى الامير عبد المالك يطلب انضمامه الى قوته ليكوا يدا واحدة فرفض عبد المالك هذا الطلب بشدة واغلط لرسول الخطاطبي بالجواب وهدده ان هو عاد اليه مرة ثانية . لان عبد المالك كان لا يحب ان يظهر غيره في الميدان ، ثم حمل ابن حين وآخر يمرض على السلطة الاسبانية ان يتولى قيادة الجيود المراكشيه لمحاربة بطل الريف فقات السلطة منه ذلك في النهاية ، وذهب بالفضائل التي جندوها من السترزة الى الميلة وقام بهجوم شديد على مجاهدي المغرب في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ سفرت عن وقوعه صريعا في أول معركة وقعت

— مسألة طنجة —

لم تكن طنجة مدينة كبيرة تلفت الانظار اليها ، وانما هي مدينة صغيرة في عين الناظر ، رة جداً عند رجال السياسة بموقعها الجغرافي الذي جعلها سالحة لأن يكون لها مرفأ عظيم ساحل بحر الروم بالقرب من جبل طارق ، فهي من هذه الوجهة ذات أهمية عظمى في نظر كائز الذين يعملون ليل نهار للسيطرة على جميع الطرق المؤدية للهند ، ولم تكن هذه الالهمية شأننا ولا أدنى منزلة في نظر ساسة فرنسا واسبانيا الذين يعلقون على وجردها في الساحل كشي واسع الآمال في اتصال تجارتهم بمستعمراتهم .

وببلغ عدد سكانها اليوم نحو أربعين ألفاً وهي من المدن التي لا تزال مخنفة بطرازها في رغم متاخمتها للقارة الاوربية ، واحتكاكها بأهم شتى ، وقد استولى عليها البرتغاليون ٨٦٩ (١٦٥٦) واهديت الى كائز أوف برجانز عند زواجها من شارل الثاني ملك انكلترا ٨٧٥ (١٦٦٢) فأصبحت طنجة انكليزية ولكن مولاي اسماعيل الكبير أخرجهم منها ؛ سنة ١٠٩٥ (١٨٨٢) وحاصرها الفرنسيين سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) لمناسبة مساعدة كشين اخوانهم الجزائريين في ثورة الامير عبد القادر الحسيني

ويقوم فيها الآن كثير من معتمدي الدول والسلطين المخلعين من امراء المسلمين في المغرب على امثال مولاي عبد العزيز

وقد بدأت تكتسب هذه المدينة صفتها الدولية بعد ما عقدت المعاهدة البريطانية المراكشية ١٢٧٣ (١٨٥٦) ، والمعاهدة الاسبانية - المراكشية سنة ١٢٧٩ (١٨٦١) فقد اعترف لان في هاتين المعاهدتين بالامتيازات الاجنبية ، ومنح اتفاق مدريد سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) الامتيازات لبقية الدول الاوربية صاحبة المصالح في مراكش .

وفي سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) عقدت معاهدة بين اسبانيا وفرنسا اعترفت المادة التاسعة فيها بكون لمدينة طنجة (صفة خاصة) ثم جاء بعدها مؤتمر الجزيرة سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦) فتوسع سير هذه الصفة بحيث جعلها (دولية)

وفي سنة (١٩١٢) بسطت فرنسا حمايتها رسمياً على مراكش بموجب معاهدة عقدتها مع 'ي عبد الحفيظ ، وتأيدت في احدى فقراتها (الصفة الخاصة) التي اعطيت لطنجة فيما سبق ، ثم تفاق مدريد الذي عقد في السنة نفسها بين اسبانيا وفرنسا فنص على أن لا يوضع لمدينة طنجة نظام خاص يعين فيما بعد .

وكان الاتفاق الفرنسي الألماني الذي عقده سنة (١٩١١) على أثر حادثة أغادير^(١) قد نص على عدم مد خط حديدي من أي ميناء في مراكش قبل عرض انشاء خط من طنجة الى فاس على العالين .

وفي سنة ١٩٣٣ (١٩١٤) وضع مشروع لنظام هذه المدينة قبلته فرنسا وامتنعت اسبانيا عن قبوله ، ثم جاءت الحرب العامة فانصرفت الدول عنه الى مشاغل الدفاع الوطني . ولما وضعت الحرب أوزارها وتنازلات ألمانيا بموجب معاهدة فرساي عن حق التدخل في شؤون مراكش حاولت فرنسا بسط سيادتها على طنجة فاعتضت اسبانيا وبريطانيا على هذه المساعي ودارت مفاوضات بين هذه الدول في طائي (١٩٢١ - ١٩٢٢) لحل هذه المشكلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي سنة (١٩٢٣) تم الاتفاق بين هذه الدول الثلاث على نظام طنجة في المؤتمر الذي عقد في لندن يقضي بجمياد (منطقة طنجة المراكشية) - وهو الاسم الرسمي الذي اعترف به زمن الحرب - وجعلها ميناء مفتوحاً لمتاجر الامم كلها ، وبضم شقة من الارض من جهة طنجة الى المنطقة الاسبانية ، وبمنح منطقة طنجة المراكشية نظاماً ذاتياً واسع النطاق ، ويجري فيها الحكم باسم السلطان بواسطة « بلدية دولية » ينتخب أعضاؤها من راياء الدول الثلاث - فرنسا واسبانيا وانكترا - ومن راياء الدول الاخرى ذات المصالح فيها ، ويكون راياء السلطان من العرب واليهود ممثلين فيها أيضاً ، وتكون هذه البلدية تحت مراقبة مجلس يسمى (مجلس المراقبة) يؤلف من قناصل الدول ومن ممثل للسلطان ، الى غير ذلك من المسائل .

هذه خلاصة لتاريخ الاستعمار في طنجة بل وفي مراكش كلها بسطناها هنا لتعلقها بالموضوع الذي نحن بصدد .

(١) حادثة أغادير — بينما كانت ألمانيا تمد عدتها لتنفيذ سياستها الاستعمارية ، كانت فرنسا تعمل من جهة ثانية لبسط نفوذها على مراكش ، فأرادت ألمانيا ان تنازعها هذه البلاد وبانت تحجج الفرض لذلك الى ان هزمت روسيا حليفة فرنسا ، تلك الهزيمة الشنءاء في موقعة مكدن سنة ١٩٠٥ في الحرب الواقعة بينها وبين اليابان ، فأمرع حامل ألمانيا الى زيارة طنجة ، واعان ان حكومته ان توافق على أي تبير في ادارة المغرب الاقصى من غير رضاها وفاقا لارارات مؤتمر برلين ، ففقد على الأثر مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ وقرار احترام استقلال مراكش وتكليف فرنسا بالمحافظة على النظام . على انه في سنة ١٩١١ عاد النزاع الى اثر ارسال فرنسا جيشاً لاحتلال حاصدة مراكش ، فقد اعادت ألمانيا احتجاجها وعززته برسائل اسطول الى (اغادير) لصيانة المصالح الألمانية ، وكاد الامر يؤدي الى انشوب حرب اوربية لولا تهاب روح المسالمة والاعتدال . وفي مؤتمر الجزيرة الذي عقد في السنة نفسها تقرر اطلاق يد فرنسا في مراكش نظير التنازل من جزء من الكونغو الفرنسية الى ألمانيا .

الفصل الثاني

سيرة الأمير

﴿ مولده ونسبه ﴾

في أوائل هذا القرن - أي الرابع عشر للهجرة - ولد الأمير محمد بن عبد الكريم في مدينة (مليلة)، تلك المدينة التي تقطنها الألوف المؤلفة من اخلاف ملوك العرب الذين هاجروا من الاندلس عقب السكينة العظمى. وهو اليوم في العقد الرابع من عمره، ويمت بنسبه الى أسرة (الخطابي) من بيوتات الريف الكبيره، وصاحبة الزعامة في قبيلتها (بنو رور ياغل). وقد اشتهر كثير من أفراد هذه العائلة في قتال الاسبان شهرة عظيمة نخص بالذكر منها السيد احمد امزيان بطل معركة مليلة التي وقعت سنة ١٣٢٩ (١٩١١) ضد المستعمرين الاسبان فقد أبلى السيد احمد المذكور في تلك الواقعة بلاء مجيداً، وجشم الاعداء الخسائر الفادحة. وقبيلة الأمير - أي بنو رور ياغل - تقطن في الشمال الشرقي من بلاد الريف، وهي أكبر قبائله عدداً وأعظمها نفوذاً وأشدّها شجاعة.

أما والده السيد عبد الكريم فقد كان قاضياً شرعياً بمدينة مليلة وهو من المعروفين بين أترابه بالعلم والتقوى. ولم يتزوج الأمير الا بعد نهضته هذه، وليس له أولاد اليوم.

﴿ نشأته ﴾

شب الأمير في مدينة مليلة وترعرع في حجر والده الذي كان استاذاه الاول، حيث درس مبادئ العلوم عليه وأتم تعليمه الاول في مدارسها ثم سافر الى فاس ونال من مدارسها اجازة العلوم الدينية ثم قفل راجعاً الى مليلة والتحق بمدارسها الاسبانية فظهرت اذ ذاك مخايل نبوغ الأمير ونجايبته وحاز على دبلوم مدارسها الثانوية في مدة قليلة وبز اقرانه في التحصيل والدرس، وبعد خروجه من المدرسة بقي عطلاً من الاعمال فترة من الزمن، تاقت نفسه العظيمة خلالها الى الازدياد من العلم فسافر الى اسبانيا والتحق بجامعة (شلهنكل) وتحصيل منها على شهادة الحقوق

والآداب ولقب (دكنور) فيها ، وفي أيام العظلة الدراسية انكب على دراسة تاريخ العرب في الاندلس وساح في بلدانها ، وشاهد آثار أجداده الخالدة التي لا تزال تنطق بعظمتهم وحضارتهم فتنبهت في نفسه عواطف القومية وفاض قلبه حزيناً وتذكراً كان فيما بعد سبباً غير مباشر للانتقام من أعداء أمته .



﴿أوصافه﴾

قصير القامة ، بدين الجسم صبور الوجه مستديره ، اسود العينين ، حاد النظر ، ذو شعر أسود ولحية خفيفة تبدو على محياه دلائل الاين والرقه ، يلبس العمامة والجلباب المغربي وكثيرا مايترى باللباس الافرنجي ويضع النظارات على عينيه . وليس للامير علامة خلقية يتميز بها سوى امرين احدهما يدها البيضاء والناعمتان والثاني عيناه السوداء واللتان بهز نظرها القلوب .

﴿أخلاقه﴾

ضحك الوجه لين العريكة ، يحب المبادرة ويكره التواني ، قليل الكلام كثير العمل يشتغل ست عشر ساعة كل يوم دون أن تظهر عليه دلائل الملل والكلل . وهو ذو شخصية بارزة واردة قوية ، فاذا نظر اليه الانسان لاول وهلة لابد ان يحار في ان يكون لهذا الرجل اللطيف المظاهر ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف الشكسة .

وهو فارس ماهر لا يرهب الحوادث ولا يضطرب للنوازل يقود في أكثر الاحايين الثوار والجيوش بنفسه ، ويتقدم الى خطوط الحرب الامامية دون ما اكتراث أو وجل . وقد أحيط بمصائب تتوق مصائب مصطفى كمال بطل الترك وارتابه فذلها بعزمه وحزمه وانقذ المغرب من اضمحلال محتم .

﴿نبوغه ومواهبه﴾

الامير ابن عبدالكريم رجل حر الضمير ، نقي الاخلاص ، وثيق الايمان ، ديمقراطي النزعة ، محبوب على حب الاستقلال : خمس صفات لم نشاهدها مجتمعة في كثير من عظماء التاريخ ولكن الله جمعها في شخص هذا البطل فتجلت فيه الروح العربية المجيدة في أحسن مظاهرها ، والنبوغ الشرقي بأنهم معانيه .

وللامير خبرة واسعة في الاحوال العصرية ، ومعرفة كافية في الاساليب العلمية والفنية تتم على نضوج الفكر ورجحان العقل ، وهذه الميزة وتلك الصفات هي التي رفعتها الى درجات الابطال النوابع الذين تختارهم العناية الآلهية بين حين وآخر لاقاذا البشرية المتألمة فيتقلدون تارة سيفاً ينقذون به شعبا كاد الظلم يودي بحياته ، وطوراً قلماً يرشدون به الانسانية الضالة .

وقد أظهرت الحوادث والايام ان مولاى الخطابي هو نائبة هذا العصر وبطله العظيم الذي

ارسله الحق جل وعلا لتخايص الشعب الربني من ظلم فادح وشر مستطير .

﴿ قبل الحرب ﴾

على أثر عودة ابن عبد الكريم من اسبانيا قبيل الحرب وانهائه من الدراسة عين قاضياً مدنياً لمدينة مليلة وعاد الى هذا المنصب بعد الحرب ولم يزل فيه الى أن قام بحركته المباركة ، وقد كان طيلة هذه المدة يرقب عن كثب أعمال المستعمرين في بلاده ويشاهد المناكر التي يأتونها عملهم ، ويعمل على الخفاء على احباط مساعيهم ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً : تارة بالسياسة ، وآونة بالصرامه .

وقد كان يعجب بالشباب ومافي سيئاتهم من دلائل السرور فيجالسهم ويخاطبهم ويبت فيهم روح الاستقلال ، روح التمرد ، روح الثورة ، ويجب اليهم الجندية ودرس فنونها فدخل المئات منهم مدارس الحربية ونشأوا ضباطاً كانوا له اليد الكبرى في تدريب جيشه اليوم .

﴿ في الحرب العامة ﴾

ولما اعلنت الحرب العامة ارسلت المانيا والترك سنة ١٩١٦ فرقة من الضباط نزلت في احدى موافي الريف الاسبانية لاثارة القلاقل والشغب على دول الحلفاء في مستعمراتها ، حينذاك ظهر ابن عبد الكريم الى الميدان وانضم الى هذه الفرقة وبدأ يعمل على مماكسة فرانسوا وغيرها واثارة القلاقل والثورات ، وأعان اولئك الضباط واختلط بهم ، فاستفاد من خبرتهم العسكرية ومعلوماتهم الحربية استفادة كبرى ، ولكن الاسبان ظنت فيه سوء وخافت مغبة الامور ، لانه من اصحاب الكلمة المسموعة بين قومه ، فاعتقلته مدة ثم اطلقت سراحه ، وادخلته في سلك الجندية فعينته ضابطاً في الوزارة الحربية .

﴿ بعد الحرب ﴾

وفي سنة ١٩١٨ عقيب الهدنة وقعت قلاقل في منطقة الريف فرأت وزارة الحربية ضرورة لارسال الامير الى هناك للاستفادة من خبرته ونفوذه فالتحق بفرقة الريف ، وقد أظهر وقتئذ حنكة ودراية لفتت الانظار اليه بحيث سمى جهداً طاقته ليرفق بين مصلحة قومه وسياسة الاسبان ، وتحمل من جراء ذلك صعوبات كثيرة وعرض نفسه للمهالك ولكنه لم يفلح ، ففضل وقتئذ الاستقالة من الجيش فاستقال وعاد الى منصبه - قاضياً مدنياً - في مليلة يهيئ نفسه لليوم

العظيم . وقد حاز خلال هذه المدة من دولة اسبانيا وسامات عديدة مكانة على أعماله العظيمة التي قام بها . وتوصل بنبوغه وذكائه الى درجة (كابتن - أي رئيس) في الجيش في مدة قليلة جداً

﴿ أسباب الثورة ﴾

كان الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي قبيل قيامه بالثورة قاضياً مدنياً في مليلة كما ذكرنا فبا تقدم ، وهي بلدة احتلها الاسبان منذ أمد طويل واتخذتها السلطة معسكراً لجيش المنطقة الريفية الشرقية بقيادة الجنرال سافستر الذي وقع قتيلا في المعركة الاولى من ثورة الريف المعروفة بمعركة عربت - انوال وذلك سنة ١٩٢١

وقد زرع الامير في هذه البلدة ونشأ فيها وسمع اذ ذاك نهيدات بنى قومه وشاهد بألم عينه ما تفعله جيوش المستعمرين المحتلة من الماكر والاثام فوجدت في نفسه بغضا جعلته يتحين الفرص للايقاع بهم والانتقام للاندلس .

وبينا كان ذات يوم يسير في احدى شوارع مليلة اتفق ان شاهد عريفاً (جاويز) اسبانياً يضرب بالكرباج ريفياً ضرباً مبرحاً ، والريفي يستغيث ولا يغاث ، فاحتد الامير اذ ذاك وتقدم من الاسباني سائلاً عن السبب الذي حمله على اقتراف هذا الفعل المنكر ، فأجابه الاسباني بكل غلاظة وعنف ، بأن دابة هذا الريفي قد لكته بيده !!! خاول الامير أن يهديه من روع العريف الاسباني ، ويردعه عن عمله المشين فلم يفلح .

﴿ ثمن الكرباج ﴾

ولما رأى الامير تصالب الاسباني في فكره ، وشدة عناده تركه وذهب تَوّاً الى مقر القائد العام حيث قص عليه الحادث كما حدث وطلب اداة العريف الاسباني تهدئة للخواطر الهائجة ، وأبان سوء منية هذا العمل الذي يسمي بسمعة اسبانيا ، ان هو توانى في تجزية المعتدي فقال له القائد : ألا تدري أن الاسباني مهما كانت منزلته وطبقته هو سيد هذه البلاد ؟ فأجابه الامير حينذاك بكلمته الذهبية الماثورة التي ستبقى مثلاً للمستعمرين ابد الدهر وهي : « وأنت أيضاً ألا تدري ان هذا الكرباج سيكلف اسبانيا ثمناً باهظاً ويحملها عبثاً ثقيلاً ؟ » ثم ترك القائد وخرج حانقاً غضباً

﴿ الانتقام للاندلس ﴾

خرج ابن عبد الكريم من لدن القائد الاسباني ووجهته مقر قبيلته (بنى رورياغل) التي تقطن في الضواحي ، فاجتمع هناك بفريق من أصدقائه المخلصين الذين ينثق بهم كل الوثوق ، ولا يتجاوز عددهم العشرة ، وحاذهم بالحادث الجلل وأفصح لهم عما يكنه فؤاده من الانتقام للاندلس . والقيام في وجه اسبانيا تلك الدولة الغاشمة التي قضت على ملك العرب في الديار الاندلسية ، وجاءت اليوم تريد القضاء على بلاد المغرب وحربتها واستقلالها . واستنفض همهم وأثار نخوتهم . وسألهم عما اذا كانوا يشاركونه في ثورته أم لا ؟ فاجابوه كلهم بلسان واحد بالاجاب وأقسموا يمين السكمان والدفاع عن الاستقلال حتي النفس الاخير . فكان قسما عظيما . . .

﴿ الرصاصة الاولى ﴾

ثم انسل كل واحد منهم الى ناحية من المدينة والتقف بندقيته مع خراطيشها وعاد الى المكان المعين . وفي المساء اعتصموا بأكمة من آكامها ، حيث بدأوا يناوئون العدو . فخرجت الرصاصة الاولى ، رصاصة الانذار يوم ١٤ ذى القعدة ١٣٣٩ (٢٠ يوليو سنة ١٩٢٠) هاجم هؤلاء العشرة وعلى رأسهم ابن عبد الكريم باديء ذي بدئ مخفرا من مخافر الاسبان الامامية وأخذوا سلاح جنوده وعتادهم وأعطوها الى فريق آخر من اخوانهم الذين كانوا طلبوا اليهم الالتحاق بهم . فبعيت الحالة هكذا دواليك كلما غنم الامير وجاعته بندقية أعطوها الى واحد من الاشخاص الذين لما طرق مسامعهم خبر الثورة جاؤا زرافات ووحدانا للانضمام الى الثائرين وشدارزهم . واسبانيا تعدهم حينئذ « عصابة لصوص وقطاع طريق » فلا تكثر بهم ، ولا تنهم بأمرهم . وانما ترسل لمطاردتهم الكتيتية ائراكتيتية بدون أن تتمكن من قطع دابر هؤلاء اللصوص ، قطاع الطرق ! فلما بلغ عدد رجال الامير خمسمائة نسمة واشتد ساعده وهاجت الخواطر في البلدان شعرت القيادة الاسبانية بالخطر المحدق وجردت الحملات ، وارسلت الجيوش . . . ولكن لا الى ميدان النصر والظفر ، بل الى المجزرة ، الى الموت . .

﴿ وشاورهم الى الأمر ﴾

ولما قويت شوكة الامير وانتشر نبأ قيامه في البلاد فقابله الشعب بما يستحقه من العناية

والاهتمام رأى أن أحسن وسيلة لنجاح القضية هو إيجاد أساس متين لبنائها وذلك بجعلها حركة قومية عامة يشترك فيها الشعب في ادارة دفة الحركة والحكم فدعا القبائل والاهلين الى عقد اجتماع عام في معسكره . فلبى السواد الاعظم دعوته عن طيبة خاطر ، وتقاطروا على معسكره زرافات ووحدانا . وهناك وقف الامير خطيباً بينهم ، فاستهل خطابه بنبذة تاريخية عن علاقات اسبانيا بالعرب في الاندلس والمغرب . وأبان لهم الاعمال الحمجية التي يقوم بها المستعمرون في البلاد الشرقية وغايتهم من بسط نفوذهم على البلاد . ثم تدرج الى ذكر الاسباب التي حملته على القيام في وجه الظالمين ، وبسط بايضاح المثل الاعلى الذي يصبو اليه . وطلب اليهم الاتحاد والنضامن وشدد ارزاه في قيامه للوصول الى الفوز والفلاح . ثم اقترح أن يتذاكروا في الامر ويدينوا له آراءهم وأفكارهم بكل جلاء ووضوح . فاتفق الجميع على الجهاد والدفاع الى آخر نقطة من دماهم ورأوا أن أضمن طريق للفلاح هو تشكيل مجلس عام يكون المرجع الأعلى ، بحيث يضع برنامجاً للسير عليه . ويؤلف حكومة وطنية تدير شؤون البلاد . وتضع الانظمة والقوانين .

﴿ الجمعية الوطنية ﴾

تشكلت الجمعية الوطنية أو المجلس العام على الطريقة المنتبعة في المغرب الأقصى من جماعات القبائل والاهلين . وهم الاعيان والمشايخ والولاة . فكانت هذه الجمعية هي الممثلة لارادة الامة وهي التي تولت تنظيم الجهاد الوطني وادارة شؤون البلاد .

عقدت الجمعية الوطنية الريفية اجتماعها الاول في بدء سنة ١٣٤٠ فكان قرارها الاول اعلان استقلال البلاد وتشكيل حكومة دستورية جمهورية يرأسها الامير محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة فتم ذلك في يوم ١٥ المحرم ١٣٤٠ (١٩ سبتمبر ١٩٢١)

ثم وضعت دستوراً للبلاد مبدؤه سلطة الشعب ، وجعل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد الجمعية الوطنية أي انه لم يفصل بين السلطتين طبقاً للقواعد الدستورية الاوربية ، وجعل رئيس الجمهورية رئيساً للجمعية الوطنية . ويحتم على كل شيخ وزعيم وقائد^(١) من أعضاء المجلس تنفيذ المقررات التي تقرها الجمعية ، وهؤلاء مسؤولون عنها تجاه الرئيس بصفته رئيس الحكومة ،

(١) الحاكم أو الوالي في بلاد مراکش يسمى (قائد) .

واللون الاخضر هو شعار أهل البيت النبوى الكريم والفاطميين . أما اللون الابيض فهو شعار الامويين في الشام والاندلس .

﴿عاصمة الجمهورية الريفية﴾

نص الدستور الريفى على جعل (أجدر) عاصمة للجمهورية الريفية ومعسكراً لجيشها ، وهذه البلدة رغمًا عن كونها عاصمة لا يزيد طولها عن ميلين ، وعرضها عن ميل بادية بدء ، قد اتسعت حتى صارت بلدة كبيرة ، وهى تقع فى بقعة جبلية تشرف على وادى (الحصاص) ، وقد تستطيع المدافع الاسبانية فى الحسيمة أن تنالها بقذائفها

فى هذه البلدة يقم بطل الريف فى منزل لا يمتاز عن منازل البلد بشيء اللهم الا بكثرة الداخلين اليه والخارجين منه من الرسل وأصحاب المصالح ، ومن هذا المنزل تصدر الاوامر بحشد الجيوش وتنظيم الاعمال .

اما غرفة استقبال الامير التى خرجت منها شعلة أضاءت ارض الوطن وألهمت قلوب بنيه والتي هى محط انظار الامة وهيكلى تاريخها ، وهى غرفة عمله أيضاً - فانها لا تزيد مساحتها عن عشرين



الامير محمد بن عبد الكريم فى مركز القيادة العامة

والرئيس مسؤول عنها ازاء الجمعية؛ وقد اختارت الجمعية هذه القاعدة في دستورها وفاقا لتقاليد البلاد وعاداتها .

أما الوزارة فقد نص الدستور على تشكيل أربعة مناصب منها خُصِب وهي مستشار رئيس الجمهورية - وهو يقوم مقام رئيس الوزارة - ووزير الخارجية ، ووزير المالية ، ووزير التجارة وبقية الاعمال كالدخالية والحربية فقد جعلها الدستور من خصائص رئيس الجمهورية .

— الميثاق القومى —

ثم شرعت الجمعية الوطنية في وضع ميثاق قومى يكون المثل الاعلى للشعب في جهاده ونضاله فأقرت بعد جلسات متتالية الميثاق القومى الآتى :

- ١ - عدم الاعتراف بكل معاهدة لها مساس بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة ١٩١٢
- ٢ - جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل ابرام المعاهدة الاسبانية الفرنسية سنة ١٩١٢ ، فلا يبقى لاسبانيا سوى سبتة ومليلة وما يجاورهما من الاراضى
- ٣ - الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية الجمهورية .
- ٤ - تشكيل حكومة جمهورية دستورية .

- ٥ - أن تدفع اسبانيا تعويضا للريفيين عن الخسارة التي لحقت بهم من جراء الاحتلال في السنوات الاثني عشرة الماضية ، وفدية للامرى الذين وقعوا في يدهم .
- ٦ - انشاء علائق ودية بين كافة الدول بدون ما تميز وعقد محالفات تجارية معها .

— العلم الريفي —

واختارت الجمعية علما لدولتها الجمهورية الريفية أرضه حراء وفي وسطه نجمة خضراء سداسية

ضمن هلال في رقعة بيضاء

وهذه الالوان الثلاثة رمز تاريخي لأعلام عربية قديمة : فاللون الاحمر كان شعارا للحجاز قبل الاسلام وما زال راية الامرة الشريفة فيها التي منها سلاطين المغرب اليوم ، وفي كتاب تاريخ الدول العربية أن الحميريين اتخذوا هذا الشعار وان امرء القيس بن حجر لما بلغ القسطنطينية كان يحمل اللواء الاحمر .

قدماً مربعاً ولا يزيد ارتفاع جدرانها عن ستة أقدام، وقد نشرت على جدرانها خريطتان اسبانيتان لبلاد الريف . أما أرض الغرفة فمروشة ببساط وفيها كراسي ومنضدة من الخشب عليها رسائل وتحارير وجرائد ومجلات عربية وأفريقية ، ويجلس مولاي ابن عبد الكريم خلف هذه المنضدة ولا يشاركه في أعماله سوى أخيه الأمير محمد الصغير بن عبد الكريم^(١)

ن: أقوال الأجانب والصحف في الأمير

قالت جريدة (الديلي اكسبريس) الانكليزية في مقال افتتاحي :

ان الامير ابن عبد الكريم بعد من بين كثيرين من مشاهير رجال العالم الذين لا تعرف سيرهم الا في الروايات . فهو شديد الحذر والانتباه لا ييوح بخطئه الا عند تنفيذها ، وقد عباً جيشاً على أحدث نظام فدرب رجاله ومرنهم على أساليب القتال .

وقال المستر ورد بريس مراسل (الديلي ميل) الانكليزية وقد زار الامير في معسكره : ابن عبد الكريم في العقد الخامس من عمره ، وسيم الوجه رغملاً عن غضونه ، براق العينين ، له نظرات النسر مليح كغابية بني جنسه ، اجش الصوت جبل اليدين ، مهيب الطلعة ، ودليح الحيا دائم الابتسام . قد يشعر المتحدث اليه بظلمة عينيه وعطف . ومن رأيي أنه بريء مما يرميه به اعداؤه الاسبان من الوحشية والقسوة في معاملة الاسرى منهم وسفك دماءهم . حادثته طويلاً فوجدت منه رجلاً ذكياً هادئاً ، حذراً غامضاً .

وقال السكابتين (هاوكس) :

ان للامير ابن عبد الكريم نفوذاً بين مسلمي أفريقية الشمالية لم يسبق له مثيل منذ عهد الامير عبد القادر وهو كما مطابق على ألوف من الناس بحض ارادتهم واختيارهم . مع أنهم لم يخضعوا قط فيما مضى لزمامة رجل واحد ، فأوامره تطاع وضرائه تؤدى من دون أدنى تذمر .

(١) ان العادة في بلاد الرب ان الولد الاول والثاني يسمى كل منهما محمداً ويميز الاول بالكبير والثاني بالصغير ، فيقال محمد الكبير ومحمد الصغير ، فبطل لريف هو الاول ولذا يسمى محمد الكبير ، وتحقيقه هذا هو الثاني فيسمى الصغير والامير محمد الصغير هو شاب لم يجاوز الثلاثين عليه سماء النبل والمهابة وأمارات الذكاء والحزم وهو عالم فاضل تنقى علومه في اسبانيا ودخل المدرسة الحربية الملكية في مدريد فبرع في الهندسة العسكرية ووضع الخطة الحربية وحقق في فن الطبوغرافيا (أى الساحة) وعلم المعادن وزار كثيراً من بلدان اوروبا . وقد تولى أخيراً قيادة الجيش في المطلة النورية (أى جباله)

وقال مراسل (المورنين پوست) في مراكش :

اذا نظر الانسان الى الامير لاول وهلة لابد ان يحار في ان يكون لهذا الرجل اللطيف المنظر ذلك التأثير العظيم على قبائل الربف الشكسة . ولكن عندما يعرفه يوقن انه ذو شخصية عظيمة فهو أحد أولئك الذين يولدون زعماء في ازمة مختلفة بين الامم ليكونوا مصيرها ويتركوا اثرهم في تاريخ العالم . وهو ليس زعما فقط بل مصلح أيضا حتى ان تأثير حكمه قد بلغ الى مدى يفوق حد التصديق في تبديل الاحوال في الربف .

وقال الكاتبين (بيغان) :

ان الريفيين الذين يقودهم الأمير ابن عبد الكريم لا يمكن ان يغلبوا وقد احتفروا خنادق عظيمة وأنشأوا استحکامات منيعة .

وقال مراسل (النابلس) في طنجة :

ان الامير ابن عبد الكريم قائد مقتدر وهو يأمل ان يصل بطريقة معقولة الى أمنيته ويصبح سلطاناً . وقد جلت الحركات العسكرية الاخيرة اسراراً ظهرت منها حكمة الريفيين الفائقة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية .

وقال الموسيو (اميل بوري) الكاتب الفرنسي :

ان مركز اسبانيا في المغرب الاقصى صار متحرجا، وعبد الكريم يعرف ذلك ويرى نفسه قد فاز بالنصر . وعبد الكريم هذا رجل عجب القصة ، فقد حصل العلم في (شلمنكا) وله رفاق وأتراب في تلك الجامعة وتراه يطعم في ان يكون (الرعي العصري) للاسلام . زاره أحد الاخباريين الامريكيين مؤخراً فوضح له أنه يستخدم التلفون وأداة الكتابة المعروفة والسيارة الكهربائية كما يستخدمها المسيو دومرج رئيس الجمهورية الامريكية نفسه .

ومكانة عبد الكريم اليوم سامية حتى في مستعمراتنا الجزائرية وهو نظير عميد البولشفيين يبعث دعاته الى جميع الاقطار التي يقصد تحريك اهليها .

وقال المسيو (جان مارسيلياك) :

كان يقال فيما مضى انه في الحروب لا يقيم القتل الا بعد رميه بثقله ، وأما مع عبد الكريم ورجاله المغاربة فقد نزل الاصبع يكفي لقتل واحد

وقال (المارشال ليوني) مندوب فرنسا السامي في مراکش :

أرى ان خطر الحالة الحالية الحاضرة في الريف يتجاوز افرقية الشمالية ، فأن العالم الاسلامي يرقب الحرب بين ابن عبد الكريم واسبانيا باهتمام عظيم والمعروف أيضا أن افرقية الشمالية كلها تنظر بعين الاهتمام والعناية الى ثورة الامير ابن عبد الكريم وان الذين يشيرون الفتن يتوسلون بتقهقر الاسبان المتواصل مع ما عندهم من الجيوش والمدافع ومعدات القتال الحديث امام الوطنيين الذين لاسلح لهم سوى البندقيات وذنابل اليد ، لجل القبائل على اقتناء أثرهم .
وقال المركيز (دي سيجونزاك) :

ولارب ان ابن عبد الكريم يطرنا الآن وابلا من الاحتجاجات السلمية فقد سوى المسألة الاسبانية ، ولكن من يشك في انه سيرتد علينا ؟ ان العالم الاسلامي بأسره يستحلفه ويحثه على ذلك ، وتعتبره الهند ومصر وتونس وغيرها محرر افرقية الشمالية وقاهر الاستعمار .
وقال المستر (كنورثي) عضو مجلس النواب البريطاني :

ان ابن عبد الكريم رجل حرب وجلاذ وزعيم يعرف كيف يجعل الجماهير تنقاد اليه حتى صار الناس في الهند وبنغال والقاهرة يرون فيه رجلا يصبح ان يكون أميراً للمؤمنين وحاملاً لسيف الاسلام . فاذا أصبح والحالة هذه في مركز يدعو فيه الى الجهاد في افرقية الشمالية وبلاد العرب والاناؤل فأن انكثرا وفرنسا وايطاليا يتعرضن لخطر عظيم . ولايبعد ان تمس هذه الاخطار روسيا أيضاً .

وقالت جريدة (دويتشه الجينه تسايتونغ) الالمانية :

الامير ابن عبد الكريم زعيم القبائل المناهضة للاسباز هو رجل قدير ، ذائع الصيت ، وزعيم متملم ، وقائد ماهر ، ومنظم حاذق ، وسياسي حكيم يعرف كيف يستعمل المنافسات لصالح أمته ، وهو يحكم منطقة ندر ان ذافت طعم الحكم الاجنبي أو استهدفت حتى للرومان الذين اخضعوا الالب وآكام الالبان ولم يفتحوها .

وقالت جريدة (الطان) الفرنسية :

« ان منطقنا في مراکش تستهدف لخطر عظيم اليوم ، ونعني به ابن عبد الكريم الذي اخذ نفوذه يزيد زيادة مطردة بعد انكسار الجنرال سلفستر الاسباني في سنة ١٩٢١ فقد عرف هذا كيف ينتفع بما خلفته الجيوش الاسبانية يومئذ وراها من الاسلحة والذخيرة ليقنع انصاره

انه صار في استطاعته الآن أن يقارم أي دولة أوربية مادامت الممدات الحربية الحديثة متوفرة عنده . وقد كنت في الخريف الماضي في شيشوان وذلك قبل جلاء الاسبان عنها فأدهشني تأثير ابن عبد الكريم في نفوس الرقيقين فأنهم كانوا يقولون لي ان مساعدي الامير لا يكتبون مثلنا وهم يتربعون على الارض ولا يحملون ورفتهم بيد وقلمهم بيد أخرى بل يجلسون الى منضدة مثلكم ويستعملون الآلة الكتابية مثلكم . وهو عند ما يخبر أنصاره لا يرسل اليهم رسلا كما جرت العادة بل يخاطبهم بالتليفون وإذا أراد أن يزورهم فلا يمتطي جواداً بل يذهب اليهم بسيارته مثلكم ، ثم يردفون ما تقدم بقولهم : وهو يملك ما يملكه الفرنسيون ويعمل ما يعمله الفرنسيون . »

﴿ الادارة والاصلاحات ﴾

بذل الامير ابن عبد الكريم جهوداً عظيمة في سبيل انقاذ البلاد من الحالة المحزنة التي كانت فيها . فقد كانت الفوضى ضاربة اطنابها والفتن والثورات منتشرة في طول البلاد وعرضها والتمك شديداً ، والازمة الاقتصادية آخذة بخناق الشعب ، فقاوم الامير هذه الاخطار وذلك الصعاب وضرب على أيدي العابثين بالامن ولا شيء جميع هذه الامور بحكمة ودربة . خلعت الطبقة محل الخريف ، وذهب العدل والقانون بالظلم والاستبداد ، حتى صار الاجنبي فضلاً عن الوطني يستطيع ان يجوب تلك الانحاء آمناً لا يخشى شراً من أحد اذا كان يحمل جوازاً (باسپور) من الامير ، وحتى صار الريفي نفسه يحار من هذا الامر ، فهو اليوم يتسكك عن الحكومة في بلاده مباهايا بها وعن السلامة المدهشة التي يتمتع بها في حله ورحاله .

وما كانت الاعمال الحربية لتنسى الامير أمر الاصلاحات التي تحتاج اليها البلاد أشد الحاجة ، وما كان توطيد الامن ليشغله مما يحق لشعبه المستقبل المجيد فقام باصلاحات عظيمة في كل فروع الحياة فنظم مالية البلاد وأصلح الادارة ونظم التجارة والزراعة وأسس المدارس وأرسل البعثات العلمية الى أوروبا ، وغني باصلاح حالة الريف الصحية فأنشأ المستشفيات والمستوصفات وجلب الآلات الفنية وعمل على تهبيد الطرق وربطها ببعضها ببعض الى غير ذلك من الاصلاحات التي ستكون نواة لهضة قومية ثابتة في المستقبل ^(١)

(١) وقد اصدر الامير في الآونة الاخيرة كما ذكرت جريدة (الجورنال) قانوناً يقضي باجبار العرب من رجاله على ان يتزوج الواحد منهم من امرأة او اكثر من اوامل اخوانهم الذين اتقوا حتفهم في الدفاع من بلادهم ، كما انه

﴿الاعمال السياسية﴾

ليس الامير ابن عبد الكريم ذلك الاصم القاطع الطريق المقتصب المتوحش كما يخيل للانسان عند ما يقرأ أنباء الفظائع التي يروها عنه خصومه بل هو رجل متفرد في الدكاء والتهذيب ومعرفة العالم وهو حلو الشائل يستطيع أن يحادثك في أى موضوع تفتح باب البحث فيه ، ويهتم اهتماماً كبيراً بالشؤون السياسية الاوربية ويعرفها معرفة خارقة ، وتجد على منضدته آخر ما صدر من الجرائد الاوربية لاسيما الاسبانية والفرنسوية منها ، وقد أصدر في بدء تأسيس الحكومة منشوراً ينذر فيه بالقتل كل من يعتدى على أوروبى لمجرد كونه أوروبياً ، أو يقتل أسيراً اسبانياً وفقاً للحقوق الدولية

ولم ينس الامير التقاليد السياسية المريعة بين الدول فأعلن على أثر تشكيل الدولة الريفية ، تأسيسها بمنشورات رسمية بلغها الى دول الغرب وجمعية الامم ، واحتج فيها على سلوك اسبانيا في الريف واعتدائها غير القانوني .

﴿وفود الريف﴾

ثم انتدب الامير شقيقه الامير محمداً الصغير ليزور مقر عصبة الامم والبلاد الشرقية ويطلع رجالها على أحوال بلاده فزار فرنسا والمانيا وسويسرا وانقرة وقام بمهمته خير قيام ، ولكن عصبة الامم صمت أذانها عن سماع دعواه فعاد بدون طائل .

وقضى على ذلك وفد آخر قوامه السيد عبد الكريم بن الحاج علي والسيد محمد محساوى صهر الامير فسافرا سنة ١٣٤١ - ١٩٢٢ الى لندن وطلبا وساطة انكلترا بينهم وبين الاسبان حقناً للدماء ، ولكن لورد كرزون وزير خارجية انكلترا - المعروف بنزعته الاستعمارية وبهواطفه البغيضة للشرق والشرقيين - لم يسمح بمقابلة هذا الوفد ، وردّه الى بلاده مزوداً بالخبيبة والفشل ، بعد أن أقام خمسة شهور بانكلترا .

وقد اذاع الوفد المناشير والتي الخطابات في الاندية والمحافل وبث الدعاية في كل مكان ، ولكنه لم يلق أقل نجاح ، لانه شرقي !

حل للزوجين على اصابة امرأة واحدة الي زواجهم . وهذا العمل لعمري من أجل الاعمال التي تعود على الشعب الريفي بالفرز والنجاح

وصرح الوفد أثناء اقامته لمحور مجلة (قبلة المسلم) بما يلي :

اننا قمنا والله الحمد بأعمال حسنة متبعين في حربنا مع أعدائنا الاسبان تعاليم القرآن الكريم وأعمال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . اننا على ثقة من انتصارنا النهائي الذي يتوقف عليه استقلالنا وحياتنا .

ان اسبانيا بعد أن فشلت بحربها معنا عمدت الى الحصار البحري وأخذت ترمي قرانا بقنابلها مستعملة حرب الجبن والدناءة . فلا يقع في يدها أسير منا الا وتمثل به أفعط تمثيل (١) بينما نحن لانعامل اسراها الا بالحسنى على أن أعمالها الهمجية اضطرتنا بأن نهدد بمدافعنا جزيرتي (الحسيمة وبنون) الواقعتين أمام شواطئنا وبذلك قضينا على أعمال الاسبانيين البحرية وأجبرناهم على الابتعاد عن السواحل .

نحن اليوم نتألم من الحرب على أن هذا الألم نستعذبه في سبيل سلامة واستقلال بلادنا . ولقد وفدنا الى اوروبا وبودنا اسماع صوتنا وشرح قضيتنا الى العالم المتمدن .

وانا لنؤمل أن تطفأ أروبا على قضيتنا العادلة وتردعها فظائع الحروب التي ناباها وما زالت بلادنا حائزة على سعادتها ومحافظه على كرامتها . وانا لنستصرخ العالم الشرقي ونرجو أن لاتنسيه إيانا حوادثه الاخيرة ، فان حوادثنا لاتقل خطورة عن تلك ، خصوصاً وان الريف قاعدة شرقية ذات قوة وثبات لا يستهان بهما .

وأفضى الوفد أيضاً بحديث لمراسل مجلة (صدي الاسلام) الباريزية هذا تعريبه :

« اذا كنا نحارب اسبانيا فهو كما يعلم ذلك كل أحد لاجل دفعها عن ديارنا التي هي طامحة اليها منذ القديم . فاذا كانت اسبانيا ترجو اين فنانا بطول الوقت فانها تخطئ في ظنها ، لان الشعب الريفي لا يرضى بشئ في سبيل حق المقدس . ولقد استصرخنا الامم المتمدنة التي زعمت أنها خاضت غمار الحرب العامة لاجل الدفاع عن الحرية والحق والعدل ، فأصمت هذه آذانها عن سماع كلامنا .

« أما من الوجهة الحربية فنحن على تمام الالهة وملنفون عصابة واحدة حول زعيمنا العزيز ولدينا بنادق وقنابل ومدافع حديثة الطرز وكمية لاتنفى من العدة . وجيشنا تحت قيادة ضباط شبان متعلمين أذكيا كلهم يتلقون الاوامر من ابن عبد الكريم الذي يباشر كل شيء بنفسه

(١) كان أعمال ديوان التفتيش في القرون الوسطى لم تكن كافية

« فن الوجهة العامة حالتنا والله الحمد مرضية جداً ، وسنة ١٣٤٠ كانت علينا سنة خيرات وبركات اذا اتنا كنا نشترى أي صنف من الماء كولات أرخص بخمس مرات مما هو في بلاد الجزائر . وكذلك الامن العام تام . ففى طول السنة وقع عندنا حادثة قتل وحادثة سرقة لا غير ، وان الشريعة جرت مجراها ، لأنه قبض على القاتل وحوكم وقتل وعلى السارق فقطعت يده اليسرى . وبالجمله فلنا اليقين التام بكون النصر النهائي سيكون لنا بحول الله وقوته . »

﴿ الريفيون والمسلمون ﴾

واذاع الوفد المذكور وهو بلندن خطاباً وجهه الامير الى العالم الاسلامي هذا نصه :
« في العام الفارط عقب انتصارنا على جنود الاسبان رفعنا شكوانا اليكم في جل وجيزة وعبارات قصيرة من تمدي هاته الامة وتحامل رجالها العسكريين على وطننا . واليوم نعود الى الكتابة ثانياً مرة مستصرخين بكم ومستجدين لمراجعتكم على أن يصادف امتصر اخنا اذناً صاغية ، وقلوب شفقة وحنان . »

يا اخواننا بناء على ماتلعونه من المعاهدات الدولية ونصوص مؤتمر الجزيرة الخضراء جاءت اسبانيا بدعوى الاصلاح في العام التاسع من هذا القرن المسيحي وأثمروا على وطننا الحرب وجردت على الريف حملة عسكرية تتألف من تسعين ألف مقاتل كاملة العدة والعدد واتخذت جميع الوسائل العنيفة والمواد المهلكة لافناء هاته الفئة القليلة من الريفيين وحاربهم بهذه الكيفية وبهاته الوسائل المدمرة مدة ثلاث عشرة سنة وقد أتى ضباط العسكر من هذه الامة الفاتحة خلال هاته المدة من ضروب التوحش وأنواع الهمجية مايتحاشى القلم عن ذكره وتجه أسمع الانسانية .
خربوا الديار ، وغصبوا الاملاك ، واستحيوا النساء ، وقتلوا الرجال ، واضطهدوا الدين وهتكوا الاعراض ، وساموا الاهالي من صنوف المذاب ألواناً . وكما حاول مظلوم منا أن يبلغ شكواه للمراجع الاسبانية العالية قوبل بالاستهزاء والسخرية . هكذا قطع الريف الحر الذي عاش حيناً من الدهر شريفاً مستقلاً في دينه وحقوقه ثلاث عشرة سنة وصراخه دائماً كان صياحاً في واد حتى ضجر ومل واستسهل الاستشهاد وقام على بكرة أبيه ليدافع عن حقوقه المضمومة وتحقق أن الهروب من الموت موت . وأن لانجاة الا في تجريد السلاح ومقاومة هؤلاء الظلمة حتى أحرز الريف ذلك الانتصار الذي رددت صدها جرائد المعمورة قاطبة وانكسر الاسبان

ورد الى حدوده القديمة التي لا تبعد عن مليلة أكثر من أربعة كيلو مترات وترك في يدينا ما لا يحصى عليكم من الذخائر الحربية والاسلحة الكثيرة والاسرى الذين لا يزالون في قبضتنا وتحت حكمنا وأيدينا . وقد جرد بعد ذلك مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين وضاعف الاستعدادات الحربية والمواد المنفرقة وعاد الى قتالنا ولكن هو الحق ابي الله تعالى الا أن يظهره على الباطل فلم يدهش الريف بل زاد قوة وبأساً . فاشتد ساعده ونشط ثأني مرة للقتال ووقف في وجه هذا الظالم فلم يستطع أن يجاوز الحدود التي وقفت فيها جيوشنا من ذلك التاريخ . هذه هي الحالة الى اليوم .

نعم تعلمون يا اخواننا ان الدين هو أقوى الروابط وأمن علائق المؤاخاة ، والاخ لا بد أن يرحم أخاه ويشفق من حاله ويؤازره في الشدائد ، خصوصاً في هذا العصر الزاهر الذي تأسست فيه الجمعيات الخيرية وانمعدت الشركات الدينية بل البشرية للمؤايدة ومساعدة المتكويين .

وقد جربنا على الاستصراخ اليكم ما يصلنا اليوم عن نهضتكم الجديدة وانتعاش العالم الاسلامي وقيامه للمطالبة بحقوقه ومجاعة الامم المتمدة في تنازع البقاء والاحراز على مركز في المجتمع الدولي في أن تعضدوا دعوانا وترفعوا معنا الصوت الى ممالك اوربا التي كررنا اليها الشكوى أيضاً . نريد أن نصرح لكم اننا نطالب باستقلالنا ، وحرية وطننا ، استقلالاً تترف به الدول التي تدبر دفة العالم .

وهؤلاء سفراءنا المفوضون المعربون عن الشكايات : عبد الكريم الحاج علي ومحمد بن محسوى . والسلام

محمد بن عبد الكريم الخطابي

﴿ ماذا التقاطع بينكم ﴾

واذاع الامير منشوراً على جمعيات الهلال الاحمر هذا نصه :

الى جمعيات الهلال الاحمر ،

اذا كان التمدن الحديث قد أحدث جمعيات خيرية ورأى من الواجب الانساني مؤايدة الضعيف والاخذ بيده وتخفيف ويلات المصائب التي تتعاقب على هذا الانسان المسكين فها هو الدين الاسلامي الذي أتى لاجل سعادة البشر في هاته الدار وتلك الدار يصرح في غير ما آية من آيات الكتاب

الكريم بوجوب التعاون والتكاتف والتآزر بين المؤمنين . وبين أيضاً أن الجنسيات والقوميات لا أثر لها بعد الايمان والتوحيد فقال « اما المؤمنون اخوة » وقال « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » أى لأجل أن يحصل التعارف بينكم ويميز بعضكم ببعضاً بالاسم والا فالاخوة حاصلة بالايمان الذى هو أقوى الروابط وأوثق العرى . وبناء على هذا فانتا ننشدكم أيها الاخوان باسم الدين وشواعر الملة السمحاء وبلغت أنظاركم الى هذا الشعب الريفي المسكين الذى تسلطت عليه أمة الاسبان فكابد الحرب مدة ثلاث عشرة سنة من غير مال ولا عدة ، نسترحمكم باسم الريفى أخيكم فى الدين الذى يتألم لالمثلثمائة وخمسين مليوناً من المحمدين ويسر اسرورهم أن تعتبروه عضواً من أعضاء جسدكم ، وتفتحوا اكتئاباً لمساعدة جراحه وتخفيف مصائب الحرب .

يسوءنا وأيم الحق أن نرى جمعية الصليب الاحمر من الامم النصرانية من غير تمييز جنسية ولا قومية تهتم بجرحى الاسبانين واسراهم الذين بقوا فى أيدينا وتبعث لهم السكيات الوافرة من الدراهم وترسل لهم الاطباء ليقوموا بمداواة جرحى الاسبانين . وليس لنا من جمياتنا الخيرية من يصلنا .

هذا ما أردنا انهاءه الى مسامحكم فمساكم أن تلافقوا بقلوب مأوها الشفقة والحزان والله يجزى ذوى الخير بالخير ويعوض المؤمنين وأهل الاحسان درجات والسلام »

محمد بن عبد الكريم الخطايبى

وقد أعاد الامير السكرة بطلب النجدة ودعوة الشرق لان يقوم بعمل انساني واجب فيبعت بارسالية طبية لمعالجة الجرحى من المغاربة الذين يكافون عن حريتهم واستقلالهم ويحاربون دولة اوربية قوية بقلوب مليئة بالايمان ، وصدور تفيض شجاعة وبسالة .
ولكن هذه التهنيدات وذلك الابن الذى تردده العرب اليوم فى المغرب الاقصى فتشوق رناته الحزينة البحار والبرارى لايجد الا آذاناً صماء لا تسمع نداء ولا تلبى دعاء .

﴿ نصريحات الامير ﴾

أفضى الامير ابن عبد الكريم الى المستر (وردريس) مراسل الديلى ميل الانكليزية عن الغاية التى يتوخاها من قيامه ، بحديث طويل تقتطف منه مايلي :
نحن قوم نحب السلام ولاكننا نأبى المذلة والاضيم . وهانحن قد عاهدنا الله والشرف العربى

أن ندافع عن استقلالنا الذي يهدده الاجنبي الغاصب غرائباً بالاستعمار المقوت من جميع الشعوب
الابية الحرة ، نحن لانحب الحرب ونحبذ السلام مع استقلالنا التام وعدم الخضوع لسيادة الاجنبي
القهرية المهيمنة . وقد تفاوضت منذ عاين مع العدو بواسطة أحد قواده المدعو (جبرو) بميلة
وأفهمته أنني مستعد لمنح دولة اسبانيا امتيازات اقتصادية كثيرة تعود عليها بالخير والمنفعة اذا
اعترفت باستقلال بلادي وعاملتها معاملة الصديق لصديقه لامعاملة السيد لخدمه وعبيده ولكنها
رفضت ومع كل هذا فاني لم أزل مستعداً للتفاوضة حباً في السلام على شرط اجابة مطالبنا العادلة ،
أما اذا أراد عدونا حرباً فلتكن حرباً أبدية بيننا ولتهدر دماء الارباء على مذبح استعمارهم الوحشي
البعيد عن الانسانية وفي سبيل مطلبنا المشروع . ولا يخفى على دول اوروبا أن تحقيق استقلالنا
له ميزة كبيرة ستعود عليهن جميعاً بالمنافع الجزيلة فبلادنا الغنية بمناجم النحاس والفحم والحديد
ستفتح أبوابها للمعاونة الشركات الاجنبية التي نحن في أشد الحاجة لرءوس أموالها وبذا يمكننا أن
نقيد ونستفيد بكنوزنا الطبيعية .

وأذاع الامير في شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ منشوراً قال فيه :

ان الريفين قادرون على حكم بلادهم ومستعدون أن يبرهنوا كما برهن الترك على أنهم
يستطيعون بلوغ مرامهم بقوة ساعدهم . ان جمهورية الريف التي أعلنت سنة ١٩٢٠ ليست معادية
للاسبانيين اذا كانوا يعترفون باستقلال الريفين

﴿ في سبيل السلام ﴾

بذل الامير كثيراً من الجهود السياسية كما يبذل من الجهود الحربية لارجاع السيف الى غمده
وحقق الدماء وايقاف الطامعين المستعمرين عند حدهم ، والاعتراف باستقلال بلاده فارسل في
شهر رمضان ١٣٤٢ - ابريل سنة ١٩٢٣ مع المستر ورد بريس مكاتب جريدة الديلي ميل كتاباً
الى المستر مكندولند رئيس الوزارة البريطانية هذا نصه :

« تبذل حكومة الريف كل نفيس في هذا الصراع الدموي المؤلم ، وتجاهد في سبيل استقلال
بلادها الذي يهدده الاسبان الظلمة المتمدنون على حقوق الانسان الى آخر رجل . . انني أكتب
لك باسم الانسانية المعذبة لتوسط بيني وبين العدو المعتدي حتى تنتهي هذه الحرب المرعبة
التي تقتلك بنفوس بريئة وها أنا اصرح لك بصنفي أمير الريف المعترف به انني مستعد أن أرسل

من قبل مندوبين في المكان والزمن الذي تحدّدونه للمفاوضة في شروط الصلح ، على أساس استقلال امارة الريف استقلالا تاماً وحفظ كرامتها كاملة حرة والا فالحسام خبر حكم بيني وبينهم والنصر بيد الله يؤتية من يشاء » .
وقد اهتم مستر مكدونلد بهذا الامر بايديء بدء بعض الاهتمام ، ولكنه أهمله أخيراً لأسباب لا تعلم .

ولما رأى الامير ان كتابه هذا لم يسفر عن نتيجة ارسل اليه الكتاب الثاني :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى حضرة الوزير المكرم السير رامزي مكدونلد رئيس الوزارة الانكليزية ،
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛
نعرض اننا قد أتينا بكتابنا هذا لكي نسألكم باسم الانسانية ان تخبروا الدولة الاسبانية لكي تسحب جنودها من بلادنا الريفية فاذا فعلت هذا يكون لكم الاجر والثواب بحقن دماء العباد ، واذا أبت فان السيف بيدنا والنصر بيد الله يؤتية من يشاء والسلام .
محمد عبد الكريم الخطابي

ولكن رئيس الوزارة البريطانية اهل الكتابين ولم يأبه بهما مما جعل القنوط يتسرب الى ابن عبد الكريم من توسط اية دولة في انهاء الحرب والعودة الى السلم . فعول حينذاك على مخاطبة جمعية الامم طمعاً بمناصرته له في تأييد استقلاله . وقد حاول أن يصل الى هذا الغرض بواسطة الحكومة البريطانية أيضاً ، فغاطب الوكالة البريطانية في طنجة غير مرة طالبا ان يؤذن له ببسط قضيته لجمعية الامم ، فامتنعت الوكالة البريطانية عن التدخل خوفاً من مسشعور صديقها اسبانيا وهكذا ذهبت مساعي ابن عبد الكريم السياسية أدراج الرياح .



الفصل الثالث

حرب الريف ونتائجها

✽ الجيش الريفى ✽

لقد قلنا فى الفصل السابق ان الامير ابن عبد الكرم هو نابغة المغرب فى هذا العصر وبطله العظيم وأثبتنا بالوقائع والحوادث مقدرته الادارية وحكمته السياسية التي رفعتة الى هذا المقام . واليوم نريد أن نبهت عن بصفته قائداً بأسلا ، ومنظماً حربياً ، بحيث يتجلى للقارىء فى هذا الموقف بطولته باجلى مظاهرها ويستبان نبوغه الفائق وبراعته الخارقة فى تكوين الشعب الريفى واشغال قلوب مواطنيه بلهب الوطنى والغيرة والطموح الى الاستقلال والتمتعش الى الحرية ، فقد اوجد كل شئ من لاشئ ، وكون من ضعف قومه قوة ، وخلق جيشاً حربياً منظماً سحق به قوى عدوه سحقاً يذكره تاريخ البطولة العربية مقرونا بالاعجاب والاكبار .

كانت معاهدة ١٩٠٤ ومآثلها من اتفاقات شؤماً على بلاد المغرب ، فقد قضت على حريتها واستقلالها وسلبت المغاربة حق الحياة ، وماذاع نباحاً حتى حاجت الافكار فى المغرب ، وثارت الخواطر ، وقامت العصابات والفتن من ذاك الحين كما ذكرنا فيما تقدم ، فكانت حروباً غيرمنتجة لانها ليست منظمة ولا موحدة ، وكان المغاربة ينتظرون الوقت المرهون الذي يظهر فيه الزعيم البطل ليوحد كلمتهم ، ويجمع شتاتهم وينقذهم من هذه المصيبة العظمى . فأرسل الله اليهم ابن عبد الكرم الخطاطبى ، فكان بطل الريف وهنقذها المفدى .

يقول مونتسكيو : ان معين الذهب والفضة ينضب ، اما الفضيلة والثبات والقوة فقلما ينضب معينها .

قام الامير للذب عن حياض وطنه وتخليص بلاده من براثن الاستعمار وهوطالم بان أعداءه يتسلحون بالاصفر الرنان وبان بني قومه لا يملكون من هذه العدة شيئاً ، ولكنهم يتسلحون بالفضيلة والثبات وقوة الايمان ، فكانت له هذه الخصال التي لاتنضب خير مشجع للقيام بدوره العظيم الذي حباه الله به ، فقام هو وحفته من اصدقائه يعمل على تهديد الصماب وتذليل المقبات

فأسس لامره قياد العصابات الجوحة والقبائل النائرة ، وانقاد الشعب الريفي برمته لارادته ، فنظم منه جيشاً لجبا منظماً تمكن من قهر دولة اوروبية كبيرة في اساطيلها وطياراتها ، عظيمة في ذهبها ودنانيرها ، ولكن هذه العظمة وتلك الكبرياء اضمحلتا أمام قوة الفضيلة والنبات والوطنية الصادقة .

هنا وفي هذا المقام تتجلى بطولة الامير ابن عبد الكريم ونبوغه النادر . اذ كيف يتأقني لرجل ان يجمع شتات شعب لم يخضع يوماً لاحد ، ويوحد كلمته ويحول الى جيش منظم يسير وراه الى مواطن القتال والكفاح مالم يكن بطلاً نابغة .

اليست البطولة والنبوغ هي قوة سحرية تلعب بالالباب وتعمل في النفوس فتأقني بالخوارق والاعاجيب ؟ ويقوم اصحابها باعمال فذة في حوادث التاريخ فلما يرى لها مثيل يصعوباتها ومشا كلها التي لاتعد ولا تحصى ؟

﴿التجديد العام﴾

اهتمت الجمعية الوطنية اهتماماً عظيماً في مسألة الجيش ، فجعلتها في مقدمة القضايا التي يجب معالجتها ووضعها في صيغة تمكن الشعب الريفي من الوقوف امام دولة اوروبية قوية ، فأقرت التجديد العام بحيث اصبح كل رجل في الريف مكافئاً بالدفاع عن بلاده بدون اجرة ، وخولت الامير ابن عبد الكريم السلطة التامة في اختيار الطريقة الملائمة ، وسلمته زمام القيادة العليا للجيش ، وتركته له الحرية التامة في أمور الحركات الحربية وغيرها من المسائل .

وكان أول عمل قام به الامير هو وضع نظامات لحمل السلاح تنص على ان القواد أو رؤساء القبائل مسؤولون مباشرة للقيادة عن صغار الرؤساء ، وعلى صغار الرؤساء ان يعدوا أفراد الجند ويجمعوهم على قدم الاحبة والاستعداد ، وبهذه الوساطة صارت جميع القوة من الرجال على اتم استعداد في كل وقت للذهاب الى ساحة الحرب متناوبة مع سواها ، والامير يعين دور كل منها وفاقاً لما تقضى به حالة القتال على انه جرت العادة - حسب نظام التجديد - ان تستخدم كل قوة اسبوعين في ساحة الحرب ، ثم يعود رجالها الى اشغالهم الزراعية ويحل محلهم سواهم ، وعليه فكل ريفي جندي مستجمع شرائط القتال مستعد دائماً للحرب والاحتشاد عند كل طلب وله بندقيته الخاصة به وقد يجاب معها ذخيرتها أيضاً ولا يتناول من القيادة سوى رغيف من الخبز .

ثم ان الصبية والشيوخ يساعدون المقاتلين في القيام بوظائف الحرس في الداخل والحدود ، وكثيرا ما ظهرت النساء المغربيات في صفوف الجيش يشتركن في القتال ويشجعن الرجال على الحرب وفاقا لتقاليد العرب منذ القدم .

ويقود الجنود ضباط ريفيون درس أكثرهم في المدارس العسكرية الاسبانية والآخرين تدربوا بواسطة هؤلاء .

وللامير تابور خاص جعله حرسه الخصوصي وبوليسه ، وهذا التابور يحتوى على رجال منتخبين لهذه الغاية يلبسون عمامة زرقاء تميزهم عن سواهم .

وعلى أثر تشكيل الجيش أصدر الامير منشورا يهدد فيه كل من يعصي أمره ويفر من الجندية بجرمانه من حقوق رعيته ومصادرة أملاكه ، وطلب الى جميع الريفين الساكنين في المناطق الاخرى العودة الى منازلهم ، فراحوا ديارهم ملبين دعوة الامير لمقاتلة الاسبان اعداء وطنهم وأمتهم ، هذا عدا القبائل والجماعات التي انضمت الى قوى الامير فاصبح عدد الجيش مئة وثلاثين الف نسمة كامل العدة ولديه مدافع حديثة وطائرات واسلحة وذخائر اتباع الريفيون بعضها وغنموا البعض الآخر من الاسبان

ولجمهورية الريف سفينة تجارية مسلحة يخفق عليها العلم المغربي ، قامت بدور مهم في الحرب الحاضرة فضربت بعض الجزر وحافظت على شقة الساحل التي هي مرفأ للحكومة الريفية

ولدى قيادة الجيش اليفي العليا مصلحة استعلامات متقنة تعرف منها اسرار حركات الجيش الاسباني واستعداداته وتقف على الحالة الداخلية في اسبانيا ووقفاً تاماً

وقد ثبت ان ابن عبد الكريم قائد الجيش العام شديد الحذر والانتباه لا يذبح بخطئه الا عند تنفيذها ، ووضع خطفاً حربية هي كما يقول مراسلو الصحف الاوروبية في طنجة قريبة الشبه من المخطط الاوروبية وكثيراً ما يجاري الاسبان على خطتهم وبطل في اخذ ورد معهم يتقدم تارة وبتراجع أخرى لاعتقاده ان طول الحرب في مصلحته وان الاسبانيين سيضطرون عاجلاً أو آجلاً ، رغبة في التخلص من النفقات ومن ارسال ابنائهم الى مجزرة الريف ، الى مصافاته والاعتراف باستقلال بلاده ، وقد اتت هذه الخطة بشمار طيبة لانها جعلت مشكلة مراكش في مقدمة المشاكل التي تشغل السياسة الاسبانية . وقد امتدح مراسل التامس في طنجة هذه الخطة فقال عنها : « انها جلت أسراراً ظهرت منها حكمة اليفيين الفائقة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية

والبدء بالعمل الحربى .

على ان الامير كثيراً ما يختار أوائل شهر ربيع الاول للهجوم على الاسبان ومحاربتهم في مفتتح كل عام ، وقد يكون لاختياره هذا الوقت غير الاسباب الحربية ، اسباب تاريخية أخرى لها تأثيرها في نفوس أعدائه الاسبان وفي نفوس بنى قومه المغاربة ، فقد كان الاسبان وما فتئوا يقيمون في هذا الشهر منذ سنة ٨٩٧هـ الاعياد والحفلات والمواكب في طول البلاد وعرضها ويخبز نساءهم الفطير^(١) وذلك لمناسبة ذكرى انتصارهم على العرب وطردهم من الاندلس ، والمغاربة احفاد مهاجرى الاندلس ينصبون المسام والمناحات وبذرفون الدموع السخينة على ملك ضاع وهز ذهب . فالامير يقصد من اختيار هذا التاريخ تنغيص الاعياد على الاسبان وجعل فطيرهم زقوماً بالضربات التي ينزلها بجيوشهم ، وتبديل أتراح المغاربة الى افراح الانتقام ودموع الاسى الى دموع مرور .

﴿ تكذيب الامير ﴾

ذكرت الصحف الاوربية ان الامير ابن عبد الكريم يستمد المعونة في ثورته من بعض البيوتات المالية الاوربية وان في الجيش الريفى ضباطاً من الانكليز والالمان وغيرهم ، وان هؤلاء الضباط هم الذين يدربون الريفين ويقودونهم في الحروب والمعارك الى غير ذلك من الاقاويل التي اعتاد الاربويون نشرها ، والغاية التي يرمون اليها منها هي الحط من كرامة الشرق واستناد الخوارق التي يبديها الى الغربيين . وعلى أثر ذلك ارسل الامير البلاغ التالي الى مكاتب التيمس في طنجة بتاريخ اكتوبر سنة ١٩٢٤ يدحض فيه هذه المزاعم . قال الامير :

نشرت بعض الجرائد الانكليزية والفرنسوية ان هناك علاقات وثيقة بين حكومة الريف وبعض الشركات الاوربية وان شركة انكليزية امدها بثلاثة آلاف جنيه علاوه على معدات التفون وجميع حاجياتها الحربية التي أرسلتها اليها من أوروبا . وما قالته هذه الجرائد ايضاً - فتجاوزت بقولها حد الاعتدال - ان في الجيش الريفى عدداً من الضباط الاجانب يتولون تدريبه

(١) روى الاستاذ احمد زكى باشا ان النساء في اسبانيا يخبزن بايديهن في يوم مدين من السنة نوعاً من الفطير كان لساء العرب قد ابتدأن به ليمولنهن في ذلك اليوم المشؤوم يوم تسليم غرناطة (٢ ربيع الاول سنة ٨٩٧) واذا بالهريج قد دوى في الآفاق فاضطرون لمجر الاوطان وتركن ذلك الفطير على حائه في الافران فجاءت الاسبانيات واكن خبزوه وقدمه طامناً سائماً لازواجهن من رجال الاسبان

وقيادته . فحكومة الريف تكذب كل ماتقدم تكذيباً باتاً وتتميز هذه الفرصة لنشر التصريح الرسمي التالي :

لم تعقد حكومة الريف حتى الآن أى اتفاق كان مع شركة اجنبية ، ولم تستمد مالا من الخارج ، اما معدات التلفون التي عندها فقد استولى جنودها عليها مع سائر الذخائر الحربية التي غنمتها في اثناء احتلالها الباهر للمراكز الحربية الاسبانية ونحن نكتفي بصنع قنابل اليد بأنفسنا متسكين على اختبارنا المحلي .

ولا صحة لما أكدته الصحف الاوروبية من وجود ضباط اجانب يدربون جيشنا ويقودونه فضباطنا كلهم من الريفين وهم يدربون جنودنا بمهارة بعد الاختبار الذي اكتسبوه في معارك شتى ، اما الاجانب الذين عندنا فليسوا سوى الاسرى الاسبان الذين تحترمهم حكومة الريف وتعاملهم معاملة حسنة .

فنحن نرجو من الصحافة الاوروبية ان تكذب بياناتها السابقة وان حكومة الريف تقابل هذا التكذيب بملء الارتياح .

محمد بن عبد الكريم الخطابي

الحرب

اقتصرنا في بحثنا هذا على ذكر الممارك الكبيرة فحسب خوفا من الاطالة والممل

﴿ سنة ١٩٢١ ﴾

قام الامير ابن عبد الكريم في بدء ثورته بمحاربة الاسبان محاربات غير نظامية ، فالف العصابات وبثها في طول البلاد وعرضها ، فانت بأعمال جديدة بالذكر ولما اعلنت الحكومة الوطنية في الريف كان أول ما فكر في اتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الجيش الاسباني ، أو على الأقل توقيفه في مراكزه ريثما يتم اعداد الجيش وتدريبه وتنسيقه ، فعمل على توسيع نطاق العصابات وتجهيزها بأحدث الآلات الفنية ، فقامت هذه بمهمتها خير قيام وكبدت العدو خسائر فادحة

وفي يوليو سنة ١٩٢١ - بدأت الحرب المنظمة بين الفريقين في ضواحي مليلة وكان الجيش الاسباني لا يقل عدده عن ثلاثين الف مقاتل بمدافعها الضخمة واعتادها المتقنة الحديثة الطراز

وطياراتها العديدة ، والجيش الريفي لا يزال في بدء تكوينه ولما يتجاوز عدده بضعة آلاف ، حدثت معركة في ١٧ يوليو حول انوال - عربت دامت ثلاثة أيام بلياليها اشتبك فيها الفريقان بالسلح الأبيض ، فأسفرت عن انكسار الاسبانين شر كسرة بعد أن استأصل الريفيون منهم (٢٥) ألف جندي قتلا واسرا ، وقتل الجنرال سلفستر قائد الحملة وغيره من كبار الضباط ، ووقع الجنرال (نافاوور) مع اركان حربه وثمانية آلاف جندي أسرى بيد الريفيين ، وغنم هؤلاء من الاسبان ٣٠٠ مدفع من عيار ٧٥ و (٧٠) ألف بندقية ومقدارا من الاعتاد والذخيرة لا يقع تحت الاحصاء لكثرتة ، فكانت واقعة (انوال - عربت) ضربة قاضية على الاسبان ، ومن أشهر المعارك التي لا يزال صداها يرنى في تلك الديار

وما ذاع نبأ هذه الهزيمة حتى قامت اسبانيا وقعدت وبقي الملك الفونس الثالث عشر ليالى لا ينأى وقام الحزب العسكري يطلب من الحكومة اجراء تحقيق عن الاسباب السياسية التي افضت الى وقوع هذه الكارثة وجعل يتهم رجالها المسؤولين بعدم تلبية مطالب الجنرال برانجر قائد الحملة العام في مراكن ، حيث القت الحكومة المسؤولية عليه وحالته الى المحاكمة ، وجرى مشاحنة في هذا الشأن في مجلس الشيوخ بين الجنرال اجيليرا رئيس المحكمة العسكرية والبحرية العليا والسنيور سانشه جبر احد الوزراء السابقين ووقعت مشاحنة أخرى أدت الى الضرب واللكم بين الجنرال اجيليرا أيضا والسنيور سانشه ده لوكا رئيس مجلس الشيوخ للسبب نفسه .

وبعد سقوط وزارة وقيام وزارة أخرى صحت عزبة الاسبان على الاخذ بالنار واقمم (دولامرفا) ناظر الحربية الجديد أن لا بد من قطع دابر الثورة الريفية . فخر د لاجل هذه الغاية ٢٠٠ ألف مقاتل

﴿ سنة ١٩٢٢ ﴾

على اثر نكبة (عربت - انوال) ووقوع الجنرال سلفستر قتيلا في ميدان الحرب سارع الجنرال برانجر القائد العام الى منطقة الريف الشرقية لانتقاذ القوات المحصورة في ضواحي مليلة والاستعداد لهجوم كبير ، فصرف صيف وخريف عام سنة ١٩٢١ في عمله هذا ، وبينما كان ينوى الشروع بهجومه الجديد في أوائل سنة ١٩٢٢ جاء خبر عزله فحمل أثمانه تاركا متاعه للجنرال رانفور الذي أخذ يملن في مجريط انه سينشر الامن في الريف وسيجعل الذئب يرعى فيه مع الغنم

وعلى أثر وصول القائد الجديد الى بلاد المغرب شرع في تهيئة الخطة التي يريد اتباعها في حرب الريف والاستعداد لقمع الثورة فيها، وفي أوائل سنة ١٩٢٢ تقدم الجيش الاسباني للهجوم بقوة لا تقل عن المائتي الف مقاتل مسلحين بمدد عظيمة ومعدات وافرة وجميع الجند المنظم من الريفيين لا يتجاوز بضعة عشر الفا فدارت بين الفريقين معارك دامية على طول خط مليلة - كوبا - الحسيمة، فكانت الحرب سجالا بين الثوريين تارة يبتسم للاسبان وآونة للريفيين، الا ان الاسبانول لم يطاقوا شبرا من تلك الارض الا على جثث قتلاهم، فارتوى التراب بدمائهم بدون ما فائدة

وفي منتصف شهر شباط (فبراير) حمل الريفيون حملة صادقة على العدو فردوه على اعقابهم وولى الادبار لا يلوى على شيء بعد ما تكبد خسائر فادحة وفقد كل مامعه من الذخيرة والاعتاد فارتد الى حصون مليلة

ولما علمت الحكومة الاسبانية بالفاجعة عقدت مجلسا حريبا قرر وقف حركات الزحف، ومباشرة الطرق السلمية مع الريفيين، فسافر رئيس النظار على أثر ذلك مع ثلاثة من زملائه الى ماله واستقدموا اليها الجنرال برانغوير المفوض السامي والقائد العام في منطقة الريف لتبليغه قرار الحكومة، غير ان الجنرال عارض في ذلك اشد المعارضة واصر على لزوم متابعة الحرب الى شهر حزيران (يونيو)

﴿ معركة الحسيمة ﴾

بدأ الجنرال برانغوير بهجومه الجديد في شهر مارس بانزال خمسين الف مقاتل الى الحسيمة، وحشد قوي عظيمة في ناحية مليلة للاحاطة بجبل بنى عروس املا بادرائك بن عبد الكريم في أجدر ابتدأت المعارك في ليل ١٠ مارس وكان الجيش الاسباني قد تقدم بادىء بدء بالحذر والانتباه وفاز بالاستيلاء على مواقع الريفيين في الخط الاول، فصعد له الريفيون في الخطوط التي تليها وقتلوه قتالا عصيبا اسفر عن ارتداده من الخطوط التي احتلها بعد أن تكبد بخسائر تقدر بالآلاف من القتلى والجرحى.

وفي ٢٥ منه قام الريفيون بهجوم عام على طول الخط واشتدت المعركة حول الحسيمة اشتركت فيها المدفعية الريفية لأول مرة ففتكت بالجيش الاسباني فتكا ذريعا وخربت جميع المباني وقد دامت هذه المعركة اسبوعا كاملا كان فيه النجاح والنصر لحليف الريفيين فاصيب الجنرال

برالنوير بمحاربتين خطيرتين في صدره وقتل من جيشه خمسة آلاف مقاتل واسر الريفيون ثلاثة آلاف وغنموا ذخيرة ومعدات لتحصي

فسافر على الاثر الجنرال المفوض الى مجريط وقرر اركان حربه العدول عن متابعة الحركات الهجومية في أجدر وعولت على حشد قواها حول مليلة لاجل توسيع منطقتها حول هذا المرسى ولكن الريفيين تابعوا هجومهم فدمروا مواقع اسبانية عديدة وأغرقوا لهم بوارج حرية وعطلوا بعضها واشتركت السفينة الريفية في هذا الهجوم فقصدت بعض الجزر التي هي بازاء البر وضربتها فأحدث ذلك تأثيرا سيئا في اسبانيا وهاجت الخواطر وقلقت الافكار

﴿مفاوضات الصلح﴾

انتدبت حكومة اسبانيا على أثر كارثة الحسيمة السنيور (شيفاتا) المثري الاسباني لمفاوضة الامير ابن عبد الكريم في عقد هدنة تكون اساسا لعقد الصلح وفك الاسرى الاسبان فسادر المندوب الى اجدر وعقد اجتماعات عديدة مع الامير انتهت بعقد الهدنة وتوقيف القتال مؤقنا وفك اسرى الاسبان مقابل مبلغ تدفعه اسبانيا لحكومة الريف قدره أربعة ملايين (بسيطة^(١)) وتسريح جميع مساجين الريف الموجودين لدى الحكومة الاسبانية ثم دارت المخابرة حول عقد الصلح وانهاء الحرب دامت مدة طويلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة لان الامير يشترط الاعتراف باستقلال الريف التام واسبانيا ترفض ذلك وتصر على منح الريف استقلالا داخليا فقط

﴿سنة ١٩٢٣ موقعة داغيت﴾

في ٧ يونيو ١٩٢٣ (٢٢ شوال ١٣٤١) هجمت قوة من الريفيين مقدارها سبعة آلاف على خط جبل درسة - ششوان فتقدمت الى الامام واستولت على مراكز العدو الامامية عنوة وأحاطت بمركز (ترياس) ولم تتدخل عنها الا بعد معارك شديدة اشتركت فيها قوة من الاسبان لانقل عن ثلاثين ألفا خسروا منها الف مقاتل بين جريج وقتيل ثم وجه الريفيون قواهم على مدينة (داغيت) ، حدث هنالك معركة هائلة تشيب لها الولدان واصلى الجيش اليفي العدو نارا حامية وفتك به فتكا ذريعا يقارب على رواية مراسل التابيس من

(١) البسيطة عملة اسبانية تساوي فرنكا واحداً

فترك معركة غريت - أنوال . واصبحت حالة الجيش الاسباني خطيرة حتى ان قادته صرحوا بان الموقف أصبح محفوفاً بالصعاب .

﴿ مؤتمر تطوان ﴾

ما ذاع خبر هذه الكارثة في اسبانيا حتى عقد مجلس الوزراء اجتماعات متتالية قرر على أثرها انتداب وفد للمذاكرة مع الامير ابن عبد الكريم في عقد الصلح . فسافر الوفد في شهر يوليو ١٩٢٣ (ذي القعدة ١٣٤١) الى تطوان وطلب الى حكومة الريف ارسال وفد لينوب عنها في المذاكرات التي قررتها الحكومة ، فانتدب الامير اثنين من رجاله حضرا الى تطوان ، حيث عقد فيها مؤتمر للبحث في عقد الصلح مع الريف وانهاء الحرب . وبعد اجتماعات عديدة انقرض عقد المؤتمر دون أن يتمكن من الوصول الى حل المشكلة ، لان الوفد الريفي أصر على تطبيق الميثاق القومي ولم يتزحزح عنه قيد شعرة ودارت بين سكرتير الوفد الاسباني وبين وزير خارجية الريف مخاضات هي من الوثائق الخطيرة في تاريخ حرب الريف والى القارئ نصها :

١ - رسالة الاسبان

من الكاتب العام دون ديكون سافيدرا ، الى السيد محمد بن محمد ازرقان :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فنعلمكم انا عند وصولنا لهذه المدينة وصلني كتابكم المؤرخ في ٢٨ ذي القعدة الموافق ١٢ يوليو ، وجواباً عنه نخبركم اني بصفتي رئيساً للجنة التي توجهت للمفاوضة معكم في شأن الصلح لم يتبدل منهاج معاماتي ، فاني كتبت بعض المكاتيب الخصوصية لسيد محمد بن عبد الكريم الخطابي ولكم رغبة في مواصلة المخاضات على كيفية ممكنة يعني اعتماداً على الاعتراف الدائم عن تنفيذ اليهود الدولية على وجه تام وذلك مانعتقد انه مرادكم ومراد رئيسكم ولكن القائد على بدرة وكان المرسلين من جانبكم رفضوا ذلك على وجه قطعي . من الملاحظة الثانية الواقعة بين اللجنتين حيث امتنعتم من تسهيل التفاهم معنا رأساً على كيفية مقبولة وأعلمتم القائد لمطار من جزيرة الزكور بأنكم في شاطئ البحر أماناً قد عزمتم على محاربة العسكر التي هي لنا معرة واهانة تتعلق بضيرنا . ان الواجب علينا هو اياها ولكن قبل اياها يجب أن نعلمكم كتابة انه ان كان مرادكم للمفاوضة في الصلح بالنية والصدق فنحن مستعدون دائماً لذلك ، وعليه فنظراً لكتابكم المؤرخ ١٢ الجاري يجب على أن أقرر لكم أن لا بأس من رجوعنا بقصد مواصلة المخاضات ولكن من الواجب كما هي العادة أن يقدم قبل الاتفاق في بيان المقصود وبناء

على ذلك فمن اللازم أن تكونوا على علم بالمسائل الآتية وهي :

- ١ — أن تكون الخبائر اما في الجزيرة واما في المركب كما وقعت الخسارة الاخيرة .
- ٢ — لا يمكن المفاوضة ولا المجادلة فيما يتعلق باستقلال المملكة الريفية ولا في شيء بغير ماهو معقود دولياً من عقد سنة ١٩١٢
- ٣ — يمكن المباشرة في منح نوع من التبدل ادارياً واقتصادياً في القبائل الريفية وفي الوظيفة والرتبة التي يتمتع بها السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي وحكام القبائل الذين يحكمون تحت نظر جناب الخزن (وكيل السلطان) وحماية الدولة الاسبانية .
- ٤ — تقع المفاوضة بنوع خاص في شأن توسيع دائرة التجارة والصناعة والفلاحة في القبائل الريفية والاعانات المعنوية والمادية من جانب الخزن وجانب الدولة الحامية .
- ٥ — تقع الخسارة أيضاً في شأن الضمانات لتلك الارض الواجب منحها لالغاء كل مصادقات ومتعاقد . فان كنتم توافقون على هذه الشروط فالرجو من جنابكم أن تردوا لي نسخة منها موقعا عليها من جانب رئيسكم وحينئذ ترجع اللجنة لاتمام ذلك نهائياً . وأخيراً فارجوكم أن لاتراعوا منا الارغبة في الصلح النهائي المستدام وأن تتركوا كل ريب واضطراب وخدعنا اياكم تتمشى معكم بالصدق منعاً لسفك الدماء باطلا ورغبة في أن الريف يكون كما يستحق مركزاً للنجاح والعمارة والثروة والادب لاسبانيا بل للوطنيين الذين يستحقون ذلك غاية الاستحقاق وزيادة على ذلك يجب أن نعلمكم على حسب الامر الصادر من الحكومة الاسبانية ان جوابكم عن كل ماعرضناه عليكم يجب أن يكون في يدنا ضمن مدة ٤٨ ساعة من ساعة استلام هذا الكتاب وتأسف غاية الاسف ان لم تعبروا سمعاً للحق بما يعود لمنفعةكم وتنحوا من انظاركم ماهو منفعة حقيقية الآن وتتخذوا طريقة تهديكم اضرركم ولافضيحة العامة ، فان تماديتم على هذا الغلط فان اسبانيا تتخذ جميع الوسائل الواجبة لاختاد نار هذه الفتنة والاجراء الاقتضات بوسائل لانتحارها أبداً أن تعلق بنظرها فقط توسيع ماعهد اليها من جانب الدول المتقدمة فان كنتم صادقين في كلامكم في الصلح فاقول أن تكونوا مستعدين لاختيار الطريق النافذ لاخير والنجاح دون تردد . وبعدامعان النظر في جميع ماذكر وترك كل تهمة اجيبونا عما نعرضه عليكم . سلاماً على الجميع والسلام .

تطوان في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٣ الموافق ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٤١

الكاتب العام

دكتور سبهر

٢ - جواب حكومة الريف

الحمر لله ومعه

من السيد محمد بن محمد أزرقاذ الى السنيور سافدرا

تحية وسلام . وبعد فاستلمت كتابكم المؤرخ ٣٠ ذى القعدة في الساعة الثانية نهائياً من سابع ذى الحجة الحالي والذي يشبه الاخطار النهائي لنا الامر الذي استغربناه الى النهاية من كل الفصول ومن جميع الوجوه وذلك رغمًا من أن القاعدة تقضي بوجوب متابعة الخبارة بواسطة الوفد الذي عيناه والذي يمثل أفكار الشعب اليفي الذي هو عبارة عن أكثر من مليون نفس وبربو عدد المقاتلين منه على مائتي ألف . نراكم تواصلون المذاكرة على طريقة غير رسمية . أما اذا كان ذلك لاجل أنكم ترغبون في الصلح كما هو مضمون احدى مواد كتابكم فاننا نجد في أنفسنا من الرغبة أكثر من ذلك ولكنه لا يمكن لنا الخروج عن القاعدة المعلومة في مثل هذه الشؤون المهمة . نعم بهذه المناسبة أرى من واجبي وشواري الانسانية وبصفة كوني مكلفاً من النظارة الخارجية لدولة الريف أن أصرح لكم بما يأتي :

ان الحكومة اليفية - التي تأسست على قواعد عصرية وقوانين مدنية - تعتبر نفسها مستقلة سياسياً واقتصادياً آملة أن تعيش حرة كما عاشت قروناً وكما تعيش جميع الشعوب . وترى لنفسها أحقية امتلاك ترابها قبل كل دولة ، وتعد القسم الاستعماري الاسباني معتدياً غاصباً لاحق له فيما يزعمه من نشر الحماية على حكومة الريف . والحلة أن الريف لم يعترف بها أصلاً ولن يعترف بها ويرفضها رفضاً ويلتزم أن يحكم نفسه بنفسه ويسمى في نوال حقوقه الشرعية التي لا نزاع فيها ويدافع عن استقلاله التام بكل الوسائل الطبيعية ويمتج أمام الامة الاسبانية وعقلائها الذين يعتقد فيهم أنهم يعترفون بأحقية مطالبنا المعقولة الشرعية قبل أن يجازف الحزب الاستعماري الاسباني بدماء أبناء شعبه في سبيل مطامع شخصية وادعاء حقوق موهومة ، طالما أن الحزب الاستعماري الاسباني يخدم مصالح الغير . ولو انه يحاسب نفسه وضميره لوجد نفسه مخطئاً . وانه عن قريب يرى أنه قد تسبب لامتة في الخسارة بسبب تطاوله الى الاستعمار ، والاستعمار لا يوافق مصلحته . فالواجب عليه أن يتلافى الامر قبل أن يعمر تداركه . ونحتاج

الحكومة الريفية على كل عمل اعتدائي يصدر من الحزب الاستعماري الاسباني أمام العالم المتمدن وأمام الانسانية وتبرأ من كل مسؤولية وعهدة فيما عساه أن يقع من اتلاف الارواح والاموال ، هذا واننا نعجب أيضاً كيف انكم تجاهلتم أن من صالح اسبانيا نفسها مسالمة الريف والاعتراف بحقوقه واستقلاله والحفاظة على علائق الجوار وتمتين عرى الاتحاد مع الشعب اليفي عوضاً عن التعمدي عليه واهانتة وهضم حقوقه الانسانية والشرعية طبعاً لماموس العمران ووفقاً لمعاهدة فرساي الواقعة بعد الحرب العظمى العالمية - تلك الحرب التي تعلم منها الانسان نتائج التمرد والغبص والعجرفة وعلم العالم انه لا سبيل الى امانته الانسان وانه من الواجب العقلي الطبيعي ترك كل أمة وشأنها لتدير أمرها بنفسها - وان الجبروت والقوة يصيران كل شيء أمام الحق - تلك المعاهدة التي خطها رؤساء دول عظيمة خاضت غمار الحرب وذات كاس الوبال بنفسها فلم يسعها في آخر الامر الا الاعتراف بالحق ومنح الشعوب حقوقها مهما كانت صغيرة ، ورغمما عن ان الساسة يقولون ان المعاهدات حبر على ورق - وان الحق للسيف - فالحق انه لا بد من التوفيق لانجاز المشروع والا فلا يزال العالم في الارتباك والحيرة والاضطراب الذي يهدد السلم العام اذ كل شعب يناضل عن حقه ويطالب بحريته ، اداً لا عار على اسبانيا اذا عاشت في وئام مع الريف بعد الاعتراف بحكومته واستقلاله ومبادلة المصالح المشتركة بل يكون لها حينئذ الافتخار والشرف ويكون في تاريخها نقطة بيضاء . ومن جهتنا فان الحكومة الريفية مستعدة لان تتلقى بكل مسرة تغيير خطة الحزب الاستعماري العدائية وترتجى بكل رغبة زوال سوء النفاق الذي كان منشأه الخروج عن نقطة الاعتدال والتعصب المذموم وعدم التبصر والتأني والظفر في عواقب الامور في وقت كانت الانفعالات النفسانية الخبيثة متحكمة كما ان الحكومة الريفية تأسف كل الاسف اذا نادى الحزب الاستعماري على التمدي والتعاطم والتحكم .

تصوروا انكم أنتم لو كنتم المهاجرين في دياركم من اجنبي يريد السيطرة عليكم وامتلاك رقابكم ، هل تكونون من الخاضعين لذلك الفاتح ولو ادعى من الحقوق ما ادعى ، وزعم مازع ؟ لا اخال الا انكم تدافعون عن انفسكم حتى بنسائكم وكل قواتكم ولا ترضون الاستعباد ، والنار يخ يشهد لكم بذلك . تصوروا كذلك الريف وكل رجاله يعتقدون اعتقاداً متيناً انهم يموتون في سبيل الحق ويدافعون عن شرف ما فوقه من شرف ولا يرجعون عن هذا الاعتقاد حتى يرجع الحزب الاستعماري الاسباني عن سره نيته أو يموتوا عن آخرهم . لا يسعني الا ان أصرح لكم تصريحاً

نهائياً ان الريف لا يعدل ولا يغير خطته التي سار عليها الوفد وهو انه لا يفتح المحاربة في الصلح الا على أساس اعتراف اسبانيا باستقلال الريف .

أما التخريب العسكري الذي أجريناه في شواطئ العكور وقد قدمنا لكم الاعلام به فليس صادراً عن سوء قصد ولكنه كان وفاقاً واعلمناكم به قياماً بواجب الهدنة التي كانت بين الطرفين

محمد بن محمد ازرقان

وحيث ان هناك بونا شاسعاً بين مطالب الريف والاسبانيين فقد اخفق المؤتمر وعاد المندوبون الى بلادهم .

﴿ معارك شهر أغسطس ﴾

بعد انفضاض مؤتمر تطوان بدون نتيجة طلب الجنرال (بوتزاتيدو) المفوض السامي في مراکش القيام بحملة عسكرية حاسمة في الريف فعارض ثلاثة من الوزراء في مجرى اي تقدم في مراکش ، ورفض وزير المالية ان يأذن باعطاء النفقات اللازمة فاستقال المندوب السامي وعين مكانه بالنياية الجنرال (ايشاغ) .

وما وصل المندوب الجديد الى مقر وظيفته حتى قابله الريفيون بحملة عنيفة وذلك في منتصف شهر اغسطس ، فاصروا (فرنو ، وتقر ، وسيدي ادريس) حصاراً شديداً ، فأحذقوا بمراكز الاسبان الامامية ومنعوا عنهم المؤونة والذخيرة واجهزوا على طليعة جيش العدو فأبادوها عن بكرة أبيها .

ثم سير الريفيون جيشاً يقوده الامير بنفسه على خط ششوان - تطوان فقطع خط الانصال بين الوحدات الاسبانية واحرج موقف العدو فاحدث ذلك ذعراً في اسبانيا وصدر الامر بالغناء جميع الاجازات العسكرية وتمرد الجنود والاسبان في ماله معترضين على السفر الى المغرب الأقصى ، وقامت الاحزاب الاشتراكية ونقابات العمال باعتصاب عام ضد الحرب فاستحوذ القلق العظيم على رجال حكومة مجريط مما اضطرها لان ترسل اثنين من العائلة المالكة الى ميدان الحرب تهدئة للخواطر ، ولاضرام نار الحماسة في نفوس الجند ، وطلبت الى المندوب السامي اجراء المفاوضات مع ابن عبد الكريم لفصل الهدنة ، فأرسل المندوب بطلب الامير للاجتماع معه ،

ولكن الامير رفض الذهاب اليه بنفسه واوفد رجلا بالنيابة عنه ، وهذا أبلغ الجنرال ان الامير سيد البلاد ، فهو في مركز مماثل لمركز ملك اسبانيا ولذلك لم يأت بنفسه ، بل أرسل رجلا يمثله كما تمثل انت ملك بلادك ، وهو لا يفاوض سوى الملك نفسه ، وهكذا ذهبت مساعي الاسبان أدراج الرياح .

وابتدا زحف العدو في ٢٣ منه من مواقعه وسارت جنوده نحو زيارة فينفارين محاولا اجلاء الريفيين عن مراكزهم ، فصعد الجيش الريفى وصد الاسبان مرات تجشم من جراءها المشاق والمتاعب على حين ان قوة الاسبان لا تقل عن ثمانين الف مقاتل ، ويقابلها سبعة آلاف من الجند المنظم الريفى ومثلها من القبائل .

وفي ٢٥ منه اشتبك الفريقان على أبواب تيفارين وهجم الريفيون على العدو بالمدى والهرارات وظهرت النساء بين صفوفهم يشتركن في القتال ويشجعن الرجال على الحرب بالثراريد ، وكانت الطيارات والمدفعايات والبوارج الاسبانية تطلق قنابلها من الحسيمة بقصد لفت نظر الريفيين عن موقع الهجوم الحقيقى فدمرت قرى ودساكر ، وبعد معركة دامت تسع ساعات متتالية تمكن العدو من فك الحصار عن المدينة . تاركا في ميدان الحرب مايقارب من ثلاثة آلاف قتلى ومثلها اسرى بيد الوطنيين فقبل انقاذها في اسبانيا بحفاة شديدة وارسل الملك والملكة برقيات التهناني للجيش .

وفي ٢٩ منه دخل ثمانون من الوطنيين مدينة (تطوان) ليلا بعد ماأخفى أفرادها السلاح تحت أثوابهم وأطلقوا الرصاص خجأة في الشوارع فقتل من الاسبان عشرة وجرح ٣٤ وأعاد الريفيون الكرة على العدو في ٣٠ منه واحتلوا بنى حسن وأبادوا تابورا اسبانيا برمته مع قائده ، وهاجوا الحيلة الاسبانية في (كيكسوان) وأما كن أخرى وضيقوا الحصار عليها وقطعوا المواصلات مع (ترازه وافرو) فاصبحتا في معزل تام عن الجيش ولم يقدر الاسبان على رفع الحصار عنها الا بعد جهد جهيد .

﴿ الانقلاب في اسبانيا ﴾

قلنا في مواضع مختلفة ان الحرب الريفية صارت شوكة في حلق الاسبانيين ، وان القلق استحوذ على رأى العام ، والسخط والتذمر اشتدا في اسبانيا ، حتى أصبحت الحكومة عاجزة

عن صد التيار فكانت الكارثة الاخيرة من أكبر الاسباب التي حمت الجنرال دي ريشيرا على القيام في وجه الحكومة والتمرد عليها في برشلونه ، فاستقالت الوزارة على الاثر وتبوأ الجنرال مقعد الحكم مكانها .

وما تقلد زمام الامور حتى صرح بأن حكومته قررت نهائيا قمع ثورة الريف والقبض على زعيم الثوار ابن عبد الكريم ، وانها عهدت في القيادة العليا الى الجنرال (ابزورو) وزير الحربية السابق وخولته الساطة الواسعة ، الى غير ذلك من عبارات الاطمئنان .

﴿ سنة ١٩٢٤ ﴾

في شهر مارس (شعبان ١٣٤٢) زحف الجيش اليفي بقيادة الامير ابن عبد الكريم متجهاً نحو مليلة ، وسارت فرقة من اليفيين نحو ششوان — تطوان لمهاجمة خطوط المواصلات الاسبانية ، فقطعوها واحتلوا مواقع العدو الامامية ، وخرق الجيش الذي يقوده الامير خطوط العدو الى أن أصبح على أبواب مليلة ، فسارت كتيبة من هناك الى الغرب ، فاخترقت خطوط الاسبان في (تزيارة) وأحدهوا بها من كل جانب واندسوا منها متجهين نحو (ميدار) فذعر الاسبان ووقعوا في حيص بيص وجاءتهم النجيدات من اسبانيا ، وحملوا على اليفيين حملة شديدة ، فقابلهم المغاربة بالمثل وألقت طياراتهم القنابل على مدينة مليلة فأحدثت حرباً في بعض احيائها ، وسلطوا مدافعهم على الساحل فأصاب الطراد (كانالوفيا) وقتل قائده ، ولم يقدر الاسبان على فك الحصار عن مدينة مليلة الا بعد أن تكبدوا الخسائر الفادحة ، أما حصار مدينة (تزيارة) فقد طال حتى شهر مايو .

﴿ تصريحات ملك اسبانيا ﴾

نشرت جريدة (الفيغارو) الفرنسية بتاريخ مايو سنة ١٩٢٤ حديثاً للملك الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا تقتطف منه مايلي :

سأله المراسل :

— هل جلالتم راضون عن الاتفاقات المعلقة مع فرنسا ؟
 — أرغب في أن أكون دائماً على اتفاق مع فرنسا . والاتفاقات التي أبرمناها منذ سنة ١٩٠٦ هي أفضل دليل على هذه الرغبة .

— حتى اتفاق طنجة ؟

— ان نظرة سطحية الى خريطة المغرب الاقصى تكفيني مؤونة الرد على هذا السؤال ، فانه لم يبق لنا من البلاد المشمولة بحمايتنا ومساحتها ٢٠٠ ألف كيلو متر مربع سوى ١٨ ألفاً ، أما الالوف الاخرى من الكيلو مترات فقد استفاد منها غيرنا ، وهذا سبب آخر يحملي على أن أكون دائماً على اتفاق مع فرنسا .

— هل تعتقدون أن في وضع خطة مشتركة للعمل في المغرب الاقصى فائدة لاسبانيا ؟
— لاريب في ذلك ، لان احتلال العدو للمنطقتين يجعل الاتفاق على محاربه من أعظم الامور شأناً .

— هل تفكر اسبانيا في الجلاء عن قسم من المغرب الاقصى اذا أراد الشعب ذلك ؟
— لم نذهب الى المغرب الاقصى من تلقاء أنفسنا ، بل نحن فيه للقيام بمهمة دولية القيت على طاقنا ولا يمكننا التخلي عنها .

﴿ تصريحات ديكتاتور اسبانيا ﴾

نشرنا في الفصل الثاني نص الكتاب الذي أرسله الامير ابن عبد الكريم الى المستر مكندونلد رئيس الوزارة البريطانية بواسطة المستر ورد بريس مراسل جريدة (دايلي ميل) ولما اطلع الجنرال بريمو دي ريشيرا على نص مضمونه صرح للمراسل المذكور بما يلي :

يستحيل عقد الصلح على الاساس المذكور في هذا الكتاب ، فاذا كان ابن عبد الكريم يريد استقلالاً ففي وسعه أن يناله تحت الحماية الاسبانية . واذا خضع فاننا مستعدون لمنحه قسماً وافرأ من الحكم الذاتي كما فعلنا مع الريسولي . أما الاستقلال الذي يتخذه عبد الكريم حجة له فغير موجود حقوقياً لان المغاربة في الريف كانوا في كل حين خاضعين لسلطة سلطان مراكش الاسمية وقد انتدبنا السلطان لممارسة هذه السلطة عليهم ، فاسبانيا قائمة بمهمة دولية وقد اعترفت الدول العظمى بحمايتها على شمالي مراكش ، وان فكرة تأليف دولة مستقلة صغيرة همجية على شاطئ البحر المتوسط الجنوبي ليست مدار البحث ، ان كرامة الشعب المغربي تحترم كل الاحترام تحت الحماية الاسبانية ، فسكان المنطقة التي نحتلها احتلالاً راسخاً يتمتعون كل التمتع بحريتهم الشخصية وحريةهم الدينية ، ومعيشتهم أفضل بما لا يقاس من معيشة أنصار ابن عبد الكريم .

﴿ المعارك الحاسمة ﴾

بعد سكون نسبي ساد في ميدان الحرب مدة شهر ونصف قام الجيش الاسباني بهجوم شديد في أوائل مايو سنة ١٩٢٤ حوالي سيدي مسعود ومليلة فقابلهم المغاربة بقوة لا تنفني وصمدوا لهم في مواقعهم فتطاحن الجيشان تطاحنا عنيفاً ، واشتركت كتيبة من الطيارات الاسبانية لاقتل عن سبعين طيارة بالحرب علق عليها العدو آمالاً عظيمة . وعبثاً حاول الاسبان في حملتهم هذه اجلاء الريفيين عن مراكزهم الحصينة فذهبت جهودهم أدراج الرياح ، فقد دافع المغاربة في هذه المعركة دفاع المستعيت بالسلح الابيض ، ودحروا الاسبان عن مواقعهم باديء بدء ، ولكنهم اضطروا أخيراً الى الجلاء عن هذه المراكز بعد أن تكبد الطرفان خسائر فادحة .

وفي هذه الاوقات قلبت القبائل - القاطنة في المربع القائم بين نهر تطوان والبحر ، ووادي اللو وطريق تطوان ششوان - ظهر المجن للحكومة فانقضت على جيوشها من كل حذب وصوب حتى أصبحت مراكزها الداخلية محصورة ضمن نطاق من الحديد والدار ، فقد بدأ الهجوم في ٢٨ يونيو على النقطة الاسبانية في (قبة الدرسة) وحاصر المغاربة حاميتها المؤلفة من أربعين جندياً فأرسلت النجيدات بعضها تلو بعض دون أن تتمكن من اقتحامها الا في ٧ يوليو بعد أن جاءوا بقوات كبيرة لهذا الغرض من مليلة ؛ وأحدثت القبائل بمراكز اسبانية أخرى ، وقطعوا عنها المؤن والذخائر .

ولما بلغ خبر قيام هذه القبائل مسمع الامير ابن عبد الكريم أرسل شقيقه الامير محمداً الصغير بقوة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل الى الحدود فربطت في قبيلة غمرارة فاشتد ساعد القبائل بجىء الامير الصغير ، وقامت كلها في وجه الاسبان وهاجمتهم على الخطوط الواقعة بين ششوان والبحر وأحدثت بمركز (داغيت) ، فأسرعت القيادة الاسبانية الى ارسال النجيدات لاقتاد جيوشها المحصورة ولكنهم لم تفز بباطل فاضطرت أخيراً للقيام بهجوم عام لرفع الحصار عن المراكز المحصورة وايصال المؤن الى الجنود الذين فيها فدارت رحى معارك شديدة لم يقع مثلها تقدمت على أثرها الجيوش الاسبانية تقدماً بسيطاً .

وبينما كانت حكومة مجريط تعلمن بشائر النصر والتموز جاء الخبر باشتعال نيران الثورة بين القبائل الساكنة بين تطوان ونهر اللو ، وبأن قسماً من قبائل جببالا (وهي قبائل اليرسولي) قد

تقلدت السلاح وانضمت الى قوة الامير محمد الصغير .

وكانت القوات الاسبانية في تلك الجهة مؤلفة حينئذ من ٤٠ - ٤٥ ألف مقاتل قسموها الى ثلاث فرق رابطة الاولى في أسفل (وادي اللو) بقيادة الجنرال (سيرانو) والثانية في جهة (سوق الاربعاء) على طريق تطوان - ششوان بقيادة الكولونيل (ريكلم) والثالثة في مدينة ششوان نفسها بقيادة الجنرال (جروند) وقد كلف هذا انقاذ القوات المحصورة في أواسط (وادي اللو) فوقعت هناك معارك شديدة ، حل فيها المغاربة بقيادة الامير محمد الصغير حملة صادقة ، دامت ثلاثة أيام بلياليها فانكسر الجيش الاسباني شر كسرة وارتد على أعقابها خاسراً .

وفي ٢ سبتمبر ١٩٢٤ علمت حكومة مجربط بنفشل الجنرال (جروند) ، فعزلته وعينت الجنرال (بوكيادي يانو) بدلا منه ، ولكن الريفيين قطعوا جميع الخطوط الكائنة بين تطوان وششوان واستولوا على كل مراكزها . فلجأ الاسبان الى الطيارات لنقل المؤن والماء من قواعدهم البحرية الى مراكزهم التي اصبح معظمها محصوراً وعدل الجنرال الجديد عن السفر لجهزه عن الذهاب الى مكان قيادته ، حيث أصبحت طرق المواصلات بين جميع المدن والقرى الداخلية غير مألوفة ، وبلغت القوات الريفية من الفئدن الى العرايش في شواطئ بحر الاطلانتيق من جهة ففتكت بالعمال المكافين انشاء الخط الحديدي بين طنجة وفاس ، وسدت الطريق بين طنجة وتطوان ودنت من تطوان من جهة ثانية .

ففي هذه الحالة وصل الجنرال برعمودي ريفيرا أخيراً الى الريف تتبعه نجدات كبيرة ، ولكن القوات الاسبانية التي كانت محصورة في أعالي (وادي اللو) سقطت وباتت القوات في (قبة الدراسة) نفسها والتي يقودها الجنرال سيرانو تحت الخطر وانقطعت كل صلة لها بسائر القوات الاسبانية من جهة الجنوب ، فاضطر الجنرال برعمودي ريفيرا أن يأتي بالنجدات بجراً الى سبتة .

﴿ اجتماع تطوان ﴾

عقد الجنرال بعد وصوله تطوان اجتماعاً كبيراً حضره اثنا عشر قائداً من قواد الجيش ، غرت المذاكرة حيال الحالة الحربية وما يجب اتخاذه من التدابير ، وبعد اجتماعات عديدة أقر الحاضرون نشر الاحكام العرفية في طول البلاد وعرضها وحشد جميع مالدى الحكومة الاسبانية من الجيوش وارسلهم الى المغرب الأقصى ؛ والانسحاب من المواقع التي بداخلة البلاد الجبلية البعيدة عن

المركز واذا عاين اعلان يتضمن تهديد الاهلين بتدمير القرى والساكن التي تساعد العصاة (٩).
وانزال العقاب الشديد على كل من يؤيهم أو يمد لهم يد المساعدة
﴿ تخليّة الاماكن الداخلية ﴾

وما انقطع عقد الاجتماع حتى باشرت القوات الاسبانية الانسحاب من عدة مراكز كانت على جانب عظيم من الاهمية منها (امتر وتحييسات ونازا وتابطوط والقائمة) وعشرات اخرى غيرها بعد أن دارت معارك هائلة تشيب لحوها الولدان اهمها موقعة تمزغت التي تبعد عن اسوار تطوان نحو ثلاثة اميال ففي ٢٥ سبتمبر اراد الاسبانيون ان يوصلوا الذخيرة الى مركز تمزغت فخرجوا بقوة كبيرة لحراستها وبينما هم في اثناء الطريق اذ هجمت عليهم القوات الريفية فنشب القتال بين الفريقين ودام اليوم كله وأخيراً انهزم الاسبانيون واستولى الوطنيون على جميع الدخائر التي بلغت قيمتها مليوناً من (البسيطة) أي ما يقرب من أربعين الف جنيه ، ثم في فجر اليوم التالي خرجوا أيضاً بذخيرة اخرى مصحوبة بقوة عظيمة من عساكر المرتزقة بقيادة الامير عبد المالك الجزائري ولكن حظ هذه الطائفة لم يكن احسن من سابقتها فبعدما ظلت تحارب طول النهار انهزمت في آخره بعد ما تركت القسم الاعظم من رجالها طربحاً ما بين قتيل وجريح ومن جلاهم الامير عبد المالك نفسه وهكذا دام الحال في الايام التالية .

ولما كان هذا المركز واقعاً امام تطوان فقد وضع العدو المدافع الكبيرة داخل اسوار تطوان وهي التي كانت تملط الريفيين قنابلها كما كانت طياراتها تلقي عليهم مختلف مقذوفاتها ولكن بدون جدوى ولم يتمكن الاسبان من الوصول اليها الا بعد ان تكبدوا خسائر فادحة . فضافت مستشفيات تطوان عن جراهم فنقلوا ما بقي منها الى سبتة ، وقد بقي القطار بين سبتة وتطوان ينقل الجرحى ثلاثة أيام متوالية .

ثم جمع العدو صفوفه ونظم شؤونه وزود جنوده بما يحتاجون اليه من زاد وميرة استعداداً لفتح الطريق بين تطوان وششوان وناقاذا المدينة الاخيرة . وأصدر الجنرال ايزورو منشوراً على الجيش يستنهض فيه الهمم ويقوي الروح المعنوية بالاشارة الى ان الاسبان متفوقون على خصومهم من الوجهة المادية ، واهاب بهم أن يظهروا بسالهم وثقتهم بانفسهم في الممارك الفردية والممارك الاجتماعية على السواء . ثم ختم منشوره بقوله «لا تنهوا ولا تضعفوا ولا تكن نضحيةكم

بالوطن عديمة الشرف عديمة الفوز » .

وكانت الخطة التي تقرر السير عليها هي ان يهاجم خط ششوان من تطوان ومن العرايش -
النفندق في وقت واحد فسارت القوات بقيادة ثلاثة جنرالات احدهم (كسترو) من القلب والثاني
(سيرانو) من الجناح الايمن والثالث (بوكياديانو) من الایسر . ولم تصل هذه القوات الى
ششوان الا بعد ان لاقت صاعبا حمة ومشاق عظيمة في اقضاء المغاربة عنها ، ودارت حروب
شديدة جرح فيها الجنرال (كاسترو) جرحا بليغا وقتل اثنان من ياورائه وغنم المغاربة بمحمول ٧٥
سيارة كبيرة من مختلف الذخائر .

ولكن المغاربة اعادوا الكرة على طريق تطوان - ششوان ووجهوا ضرباتهم الى مرا كز
عديدة حتى اصبحت الحالة تبعث على القلق ، وفكر العدو في اخلاء ششوان بعد دخوله اليها .
واثارت البقية الباقية من قبائل جبالا فاستولت على مرا كز الاسبان على خط عفرين -
بنى عروس ، واحدقوا بالفرق الاسبانية الممسكرة هناك ، وقطعوا عليها خط الرجعة المؤدي الى
(ازبلا) التي تبعد عن مركز الفرق مسافة عشرين ميلا .

وحاصرت قوة منهم المرا كز الامامية الواقعة في (تازروت) مقر الريسولي فقامت القيادة
الاسبانية بتضحيات عظيمة لانقاذها او تموينها على الاقل فلم تفجح .

ولما رأت حكومة مجريط عاجز المندوب السامي في مرا كز عن تسكين الحالة عزلته ، وصدر
الامر بتعيين الجنرال بريودي ريفيرا الديكتاتور مندوباساميا في المغرب الاقصى علاوة على
وظيفته الاصلية ، ف جاء الى تطوان وعقد مجاسا حربيا كانت نتيجته الجلاء على المدن الداخلية
والاكتفاء بالنزول في الموانئ الساحلية التي كان يرايط فيها الجيش الاسباني سنة ١٩١٢ ،
ومفاوضة ابن عبد الكريم في عقد الهدنة للقيام بالجلاء بدون ما خسارة .

﴿ شروط الهدنة ﴾

فاتتدب الجنرال بريودي السنيور (شفاتا) المثيري الاسباني الكبير لمفاوضة الحكومة الريفية
بأمر الهدنة فقبل الامير ابن عبد الكريم المفاوضة لتقريرها وارسل مندوبا عن حكومة الجمهورية
الريفية صهره السيد محمد بن حمادي . فعرض المندوب الاسباني الصلح على أن تترك اسبانيا المواقع
التي جلت عنها فلم يقنع المندوب الريفي بذلك وقال ان حكومة الريف تعتبر نفسها منتصرة واسبانيا

مطلوبة ولذلك يطلب غرامة وتمويضات واشترط لعقد الهدنة تنفيذ المواد التالية :

- ١ - ان تدفع اسبانيا عشرين مليوناً من الجنهات تمويضات .
 - ٢ - ان تسلم اسبانيا لحكومة الريف خمسة عشر طيارة ، ومئة الف بندقية ، ومئة وعشرين بطارية مدافع جبلية .
 - ٣ - ان يجلو الاسبان عن مراكش الى حدود مليلة وسبتة .
 - ٤ - اذا قبلت اسبانيا بشروط هذه الهدنة سيبحث في الصلح ومبادلة الاسرى .
- هذه هي الشروط التي طلبها مندوب الريف . ولكن الاسبان رفضوها رفضاً باتاً وامر المندوب السامي بقطع المفاوضات واصدر بلاغاً بتنفيذ المادة الاولى من قرار المجلس الحربي وهي القاضية بالجلاء عن ٢٠٠ مركز من مراكز الريف .

﴿ الجلاء ﴾

وفي أواخر اكتوبر باشرت الجنود الاسبانية الجلاء عن المراكز الداخلية طبقاً للخطة التي وضعتها القيادة العليا ، وقد لقي الجيش الاسباني أثناء جلائه صعوبات جمة وعمل الوطنيون السيف في أقمية الاسبانيين ولم يأت يوم ٢٠ ديسمبر أى يوم انتهاء الجلاء الا وكان الاسبانون ذاقوا الامرين من المغاربة فتركوا اسلاباً عديدة وقتل وجرح منهم نحو عشرين الف جندي ، بينهم الجنرال (سيرانو) فقد قتل في طريقه الى تطوان وجرح الجنرال برانجه وغيره من الضباط والقواد

﴿ المنطقة الدولية ﴾

بعد ان تم جلاء الاسبان عن الريف انسحبوا الى الخط الذي يمتد من تطوان على البحر المتوسط مسافة ٥٠ كيلو متراً الى الغرب ثم ينحرف جنوباً على بعد ٣٥ كيلو متراً من البحر الى حدود المنطقة الفرنسية ، وهذه المنطقة التي احتفظ بها الاسبان اليوم لازيد مساحتها على سدس مساحة البلاد التي منحوها في معاهدة سنة ١٩١٢ . فان هذه المعاهدة اطلقت يد اسبانيا في بلاد واسعة من المغرب الاقصى تمتد من حدود الجزائر الى الاوقيانوس الاطلانتيكي ويبلغ طولها نحو (٢٥٠) كيلو متراً وعرضها نحو (١٠٠) كيلو متر .

على ان الاسبان لم يبلغوا في انسحابهم الى الخط الذي قرروا الوقوف عنده حتى قامت قبائل (عنجرة) الفاطنة وراء هذا الخط في المنطقة الاسبانية من تطوان الى حدود (طنجة) الدولية

بثورة القت الرعب في نفوس الاسبان وهددت الجيش كله بشكبة عظيمة دخلت حرب الريف على أثرها في دور جديد من الوجهتين العسكرية والسياسية . فقد هاجمت القبائل الثائرة الاسبانيين واستولت على مرا كز كثيرة لهم بين سبتة وطنجة واحتلت مركز (القصر الصغير) ازاء جبل طارق ، وقطعت الطرق بين سبتة وتطوان فاصبحت الحامية الاسبانية في هذه المدينة الاخيرة محصورة تماماً من جهة البر . وصار تموينها مستحيلاً بطريق البحر لان (بور مرتين) الذي هو ميناء تطوان بات تحت رحمة الريفيين . ثم احرق الثوار (بسوق ملوسة) الواقعة على مقربة من الجسر المتصل بالمنطقة الدولية ، مما اضطر الاسبان لارسال قوة بقيادة الجنرال (ساراي) الى عين الجديدة على حدود المنطقة الدولية وانشاء المخافر حول هذه الحدود لحماية منطقة طنجة الدولية من الخطر، ولكن هل تثبت اسبانيا في مرا كزها الجديدة هذه ؟ وهل ابن عبدالكريم يقف مكتوف اليدين بعد انتصاره الباهر فلا يتعرض لمنطقة طنجة ؟ أم انه سوف يسير اليها ويدخلها كما دخل الترك الاستانة ، فتضطر الدول الى الاعتراف بحكومته ، والى احترام الامر الواقع فلا يكون حينئذ في نظرها عاصياً قاطع طريق ! ؟ ذلك علمه عند علام الغيوب . . .



نصيحة لوييد جورج

﴿لن يحاربون الريف﴾

ما زال المستر لوييد جورج الداهية الدهماء منذ اعتزاله رئاسة الوزارة البريطانية ينشر فصولاً متممة عن الحالة الراهنة في العالم ، كان لها التأثير المطلوب في مجرى السياسة الدولية ، لأنها تنضم من حكم سياسي عظيم لعب دوراً مهماً في زمن الحرب وبمدها ، وله اطلاع على أسرار في السياسة فلما يتيح لغيره العلم بها

وقد كان الفصل الرابع والمشررون من هذه الفصول الشيقة يدور حول المسألة المرأ كشيعة ، فاحببنا نقله لعلاقته بالموضوع الذي نحن بصدد

قال الوزير الانكليزي :

يظل الاسبان في مراكش في شقاء وحر ج فهم يمسون وعول الريف من قرونها ولكنهم لا يستطيعون أن يروضوها ، ولا أن يطلقوا سراحها ؛ بل يرتطمون بقرونها من آن لآخر ارتطام الثائر الصاخب ، فتدمى جباههم وتذهل أحلامهم ، لان الجبال تمد الوعول الثائرة بأبدع فرص الدفاع ، وأولئك الثوار الذين يناضلون عن حرياتهم مولعون بحيل الجبال ، يستمدون منها الغوث والفرص النافعة

لماذا نرى مراكش الافرنسية تنعم بالسكينة النسبية والتقدم بينما نرى مراكش الاسبانية مصدراً مستمراً للاضطراب وسفك الدماء ؟ وسبب ذلك أن السواد الاعظم من سكان المنطقة الفرنسية يسكنون المروج الخصبة وبذلك يهون اخضاعهم ، أما المنطقة الاسبانية فهي معترك من المناووز والجبال

ولقد زرت منذ عامين الجزء الذي تدور فيه المعارك الآن وكانت السكينة ضخمة عليه الا جبهة مليلة حيث كان شعب الريف ثائراً يذود عن حرته ، وكان قد كبد الجيوش الاسبانية هزائم فادحة ، وغنم منها مقادير وافرة من الاسلحة والذخائر والافوات ، وكان ذلك على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة لشعب لم يملك حتى الآن سوى الاسلحة القديمة ، وأقواتا لا تغني من جوع

واستطاع الريفيون أن يشتروا كميات كبيرة من الاسلحة المهربة من طريق البحر ومن المنطقة الافرنسية . وان يحصلوا من اسراهم على صنوف حديثة من الاسلحة وعلى مقادير طائلة من الاموال كان يفتدي بها الاسبان اسراهم من أيدي المغاربة ، فتشتري الذخائر بهذه الاموال ثانية ومن ثم يقاتل الريفيون فيهمز مؤن عدوهم وبأسروهم ، وهكذا سارت الاحوال من سيء الى أسوأ . وقد كان على اسبانيا قبل هذا أن تقاتل شرذمة سيئة الالهة من قطاع الطرق (؟) ! ولكنها وجدت أمامها بعدئذ قوة بدیعة النظام شد عزائمها النصر ، فأتسع الخرق عليها عندئذ واصبح من واجها ان تستعيد المنطقة الضائعة ، ولجأ جيشها المنظم الى مليلة وما حولها من الامكنة المتصلة بالساحل والتي يسهل الدفاع عنها .

يميل المرء الى ان يعتقد بسهولة ان دقة الاسلحة الحديثة تفوق القوة المادية وان الثورة ازاءها لا تسفر عن عواقب جسيمة ولكن حوادث الخمسة والعشرين عاماً الماضية في جنوب افريقية وفي ايرلندا ومراكش تدحض تلك النظرية ، فقد اضطرت انكارتا ان ترسل في عرض البحار اربعمائة الف مقاتل وان تنفق مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات لتخضع مستعمرة صغيرة من الفلاحين في جنوب افريقية (اترنسفال) وبعد ان خاضت غمار تلك المعركة الفادحة اضطرت ان تعقد صلحاً اعترفت فيه باستقلال البوير .

فما الذي يحدث الآن في مراكش ؟ ان هليب الثورة يمتد ويندلع ، وبينما تظل منطقة مليلة في سكيمة مصلحة اذا بمنطقة تطوان تكاد تخرج من أيدي الاسبان .

زرت مراكش في فاتحة عام ١٩٢٣ ، وقد كانت الطرق الموصلة الى تطوان قبل وصولي في خطر شديد بسبب اشتداد المعارك التي كانت تدور عندئذ على مقربة منها ، وقد كبّد انشاء الطريق الحربي وكذلك الخط الحديدي الممتد الى تطوان الاسبان كثيراً من الارواح ، وكان العمال يعملون بين صفوف الجند والقلاع ، ولم يجد اتفاق الحاكم مع الريسولي زعيم تلك المنطقة ، اذ يظهر انه لاصحح لما يدعيه من ثقة مواطنيه به فان نقوده قد صار الى الاضمحلال بدليل ان منطقة تطوان تضطرم اليوم كلها بنار الثورة والحرب ، وان الحكومة الاسبانية قررت ان تنسحب من بعض المراكز التي كانت تتمتع فيها القوات الاسبانية منذ عام ، وقد أكدت لي السلطات الاسبانية عندئذ ان السفر الى الداخل حتى شيشوان مأمون العاقبة كسفر طيارة الى غرناطة ، أما اليوم فلا يمكن أن يقال ذلك لأن حرب السكين تدور في الطرق وقد صدرت

الاورام الى القوات الاسبانية بان ترتد في اتجاه تطوان .

يجب على الحاكم بأمره الاسباني وحكومته ان يتخذوا قراراً حاسماً في تلك المشكلة تلبية
شجاعة أكثر من شجاعة السياسي: يجب ان يقرروا الانسحاب من مناطق الثوار كلها والا فالحرب
ستلبث مدى أعوام ، فاذا اختارت اسبانيا الحرب واستطاعت ان تقدم ما تقتضيه من الرجال
والمال فان النصر في النهاية يبقى أمراً يحوطه الريب ، بل ان هنالك ريباً في ثبات ماتسفر عنه من
النتائج

ولا يرى الانسان في تلك الجهود الباهظة التي تبذل لاختضاع القبائل الجبلية ما يدعو الى ذرة
من الامل ، وطالما اختارت شمو ب أخرى وجدت في مثل ذلك المأزق ان تترك مثل تلك المشاريع
دون ان تفقد شيئاً من هيبتها ، فنلا كان كثير من قياصرة روما يحجمون عن محاربة العشائر
الحربية التي تنور على الحدود ويفضلون التمتع بالمناطق الحصينة حتى تسنح فرصة أتم لاختضاع
الثوار ، وهذا ما تفعله انكلترا بالنسبة لبعض مناطق في حدود الهند الشمالية ، فكثيراً ما تقتحم
القبائل الجبلية الحدود بين الافغان والهند ، وكثيراً ما ترسل الحملات القوية لاختضاعها وهذه
الحملات التأديبية تكبد الحكومة نفقات طائلة فتعود بوعدها منها فقط ، ذلك هو ان لا تعود الى
الاغارة ، ولم تصب هيبة انكلترا من جراء ذلك بسوء .

ولقد وجدت اسبانيا في مثل ذلك المأزق من قبل ولم تصب في عزتها فقد كان فقدها لكوبا
نعمة للشعب الاسباني استطاعت على أثرها أن تسير في سبيل التقدم ، فاذا قيل اليوم بأن الشرف
العسكري في خطر التدهور ذكرنا القائلين بمثل كوبا ، وكلما استمر ارسال الرجال والمال في عرض
البحر اشتد الضيق في اسبانيا ، واني أشك فيما اذا كان حاكم بامرهم وأسرته تستطيع ان تعيش
طويلاً ، وأما الحل الآخر فهو ان اسبانيا تكتفي بتحسين الشاطئ والدود عنه ، وفي هذا ضمان
كاف لتجارتها ولحمايتها وصون شرفها .



الفصل الرابع

فرنسا والريف

أثناء جلاء الاسبان حدثت مناوشات على الحدود بين الفرنسيين والريفين ، كان السبب المباشر لوقوعها عدم وجود حدود طبيعية بين المنطقتين ، فان هنالك شقة واقعة الى الشمال الشرقى من فاس تسمى (وادي ورغة العليا) لم يقدم أحد على احتلالها حتى الآن ، ولكن الفرنسيين يدعون أنها جزء من البلاد المشمولة بحمايتهم ، فالى هذه الشقة أرسل الامير ابن عبد الكريم في شهر ديسمبر ١٩٢٤ قوات من رجاله واعوانه فانضم اليهم رجال القبائل الوطنية واعتصموا كلهم بمواقع منيعة وأخذ رجال الامير يتلقون تعليماتهم منه رأساً . وقد أحدث ذلك ذعراً وقلقاً في الاندية الافرنسية ، فعاد المرشال ليوتي المندوب الساسي من فرنسا مسرعاً الى المغرب لاتخاذ التدابير الضرورية . وعند سفره صرح لمراسلي الصحف أنه يعود الى المغرب في وقت عصيب ليوواجه حالة بقلقه مستقبلها قلقاً شديداً

على ان الامير ابن عبد الكريم قد أجاب على تصريحات المندوب الأفرنسي بما يلي :
 « ان هذه الشقة كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما اقدم الفرنسيون على احتلالها أخيراً ، وسيان عندي اذا كانت اصبانيا تمدها تابعة لها أو كان الفرنسيون يحسبونها جزءاً من البلاد المشمولة بحمايتهم ما دامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الاقصى الى مناطق مشمولة بحمايات أجنبية مختلفة ، وفي الدنيا امتحان واحد لصحة الملكية وهو الاحتلال الفعلي ، وقد احتلت جنودى هذه المراكز الواقعة على الحدود وبسطة حكومتي سيطرتها على القبائل النازلة فيها »

وقد كادت هذه المشكلة تفضى الى حرب بين فرنسا والريف من ذلك الحين ، ولكن جلاء الاسبان صرف فرنسا عن الاهتمام بمسألة الحدود البسيطة فاتخذت الاحتياطات الدفاعية ، وحملها على التفكير بعصير هذا الجلاء الذي لا تقل خطورته السياسية عن خطورته العسكرية ، لانها - أى فرنسا - أصبحت تخشى تفوذ ابن عبد الكريم في منطقتها بعد ان انتشر دعاته في طول البلاد وعرضها وفي الواقع ان فرنسا كانت تستعد للوقوف مع ابن عبد الكريم هذا الموقف منذ زمن طويل

يدلك على هذا أنها لما أخذت الحسنة الملايين من الفرنكات من البلاد الشامية باسم نفقة جيش الاحتلال ضمت هذا المال الى ميزانية النفقات في المغرب الأقصى واعلنت أنها رصدته لتهيئة الدفاع فيما لو وقعت حرب بينها وبين الريفيين في المغرب الأقصى

ولكن الامير المحنك الذي يعرف أسرار السياسة ومغامزها عاد فصرح لمراسل جريدة (الجرنال) الافرنسية بما يزيل مخاوف فرنسا نحو منطقتها كيلا تعاكسه في استقلال بلادها وحريتها والى القراء ملخص الحديث المذكور لانه يبين بوضوح تام برنامج الامير في سياسته المقبلة .

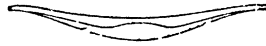
قال الامير للمراسل : « انني لا أفوم بحرب دينية لطرد المسيحيين من المغرب الأقصى ، وانما أحارب لانتقاذ الريف من الاحتلال ، ولا أريد الاشتباك في نزاع مع الفرنسيين بل أرغب رغبة عظيمة في الاتفاق معهم وسأبذل جهدي في سبيل الوصول الى هذا الاتفاق . وقد رفضت كل الاقتراحات التي عرضها علي الزعماء المحليون بأن أتولى قيادتهم ليسيروا لمقاتلة الفرنسيين ، وكنت اطلب اليهم التزام السكينة والمسالمة .

« اننا نريد أن نترك في بلادنا الحرية التامة للمسيحيين في شؤونهم الدينية ، والاديان كلها حسنة ولنا ديننا ولكم دينكم . وهذا يكفي للتفاهم والاتفاق وتبادل الارادة الحسنة . »
« ونحن مستعدون لان نترك الاجانب يدخلون بلادنا اذا استتب لنا الامر في الريف واننا سنرحب بالفرنسيين اذا جاءوا بلادنا للتجارة ولتحسين وسائل العمل عندنا والتعاون معنا . »

ثم أشار الامير الى خط حدود ورغبة المختلف عليه فقال « انه لم يحدد تحديداً صحيحاً ، وانني مستعد للبحث في هذه المسألة بروج الرغبة العظيمة في الاتفاق »

وذكر الصحافي العلاقات بين الامير ابن عبد الكريم ومولاي يوسف سلطان المغرب الأقصى فلاحظ ان ابن عبد الكريم الذي ارادت قبائل اسلامية عديدة اطلاق لقب السلطان عليه قد أبى أن يقبل ذلك اللقب وقبل لقب أمير فقط . وقد سأله الصحافي هل يأتي الاعتراف بالسلطان يوسف ، وهذا ما لا يسمع فرانسا الا أن تطلبه منه ؟ فقال الامير : « لماذا لا ؟ ان الفرنسيين يستطيعون إيجاد صيغة يمكن قبولها للاتفاق في هذا الصدد . . . »

ولكن هذه التصريحات كلها لم تكن تقيد قليلا ولا كثيرا ، لان فرنسا كان يكتفي عندها
 لضرورة خوض غمرات الحرب أن ترى جمهورية مغربية قوية مجاورة للجزائر في الغرب
 ولما كسح في الشمال . فأخذ المرشال ليوتى يعد قواته على الحدود ، ويقيم المخافر الامامية تجاه
 المواقع التي سبق رجال ابن عبد الكريم الى احتلالها
 وعقب عيد الفطر سنة ١٣٤٣ (أواخر ابريل ١٩٢٥) جعلت شركة هافاس البرقية وبعض
 صحف باريس يهدان السبيل لافهام الرأي العام الفرنسي ضرورة الحرب مع ابن عبد الكريم
 لسبقه الى احتلال أما كن لم يسبق لفرنسا ولا لاسبانيا احتلالها
 ولم تخف على ابن عبد الكريم المخططة التي رسمها المرشال ليوتى بالاتفاق مع وزارة الحربية
 الفرنسية فأعد للامر عدته ، واتخذ لكل شيء أهبطه



الحرب

﴿ بين الريف وفرنسا ﴾

ان التاريخ لا يمكن أن يكتب في زمن وقوع حوادثه ، ولا سيما تاريخ الحوادث الحربية
 لان تدوينه يحتاج الى أمرين أساسيين : الاول استقصاء الاخبار والمستندات من جميع المصادر
 لا من مصدر واحد . والثاني التجرد عن الهوى في اذاعة الخبر وفي تدوينه . وحوادث
 الحرب بين الامير ابن عبد الكريم وفرنسا لا مصدر لها غير دواوين الاستخبارات الفرنسية
 في رباط الفتح وسائر البلاد المرأ كشية ، وفي وزارة الحربية بباريس نفسها . ومع ذلك فانه
 لا غني لنا عن ايراد الاخبار الواردة من المصادر الفرنسية . لانها تدل على جملة الحال ولو مر
 بعض الوجوه

وان كتابنا هذا ينتشر بين أيدي قرائه بعد مرور شهرين على الحرب بين ابن عبد الكريم
 وفرنسا . وقد حدث في هذين الشهرين خمس معارك كبرى كما ترى فيما يلي نقلا عن المصادر
 الفرنسية :

- ١ -

✽ من أول مايو سنة ١٩٢٥ - الى ١٢ منه ✽

- ١ مايو - دخلت القوات المغربية المنطقة الفرنسية شمالى ورغة
- ٣ منه - ان البقاع التى دخلها المغاربة من المنطقة الفرنسية محرومة من وسائل الدفاع ، مساحتها عشرة كيلو مترات بين الحدود والمخافر الامامية الفرنسية
- يحاول الريفيون اثاره القبائل المجاورة لحدود على الفرنسيين
- المرشال ليوتى موقن بأنه يستطيع مواجهة الحال بما لديه من القوات
- ٤ منه - ان سرعة تنظيم الجنود الفرنسية حالت دون تقدم المغاربة. وقبل أن تتم هذه التدابير وقع هجوم اضطر الفرنسيون في خلاله الى أن يدافعوا دفاع الابطال . وفوجئت فصيلة من فصائل الهندسة وهى في ايدى عملها بهجوم الريفيين عليها ، فاضطرت في أثناء العودة الى أن تفتح طريقا لها بالسلاح الابيض
- ٥ منه - ان المرشال ليوتى قابض على ناصية الحال ! وان الريفيين اخترقوا حدود المنطقة الفرنسية ، وحملوا قبائل بنى زروال فى وادي ورغة الاعلى وفي القسم الشمالى من منطقة (تازة) على السير معهم ، ثم احدثوا ببعض المراكز الفرنسية الامامية . وكان المرشال ليوتى قد حشد هناك جنوداً من قبيل الاحتياط . فألفت هذه الجنود ثلاث كتائب ، ثم قامت بتموين المراكز الفرنسية المحصورة وصدت الريفيين عنها
- جاء المرشال ليوتى من فاس الى ميدان الحرب فتولى تنظيم الاعمال العسكرية بنفسه. والظاهر أن ابن عبد الكريم أعد لهذا الهجوم نحو عشرين الف مقاتل
- قررت الحكومة الفرنسية ارسال المدد الى المغرب الاقصى ، ومعظمه من جنود الهندسة والطيارين والهيئات الطبية
- يقود المرشال ليوتى الآن ستين الفا يمكن استخدام ثلثهم فى محاربة الريفيين
- ٦ منه - ان الكتيبة الفرنسية التى تحارب فى القلب اهدمت الريفيين عن مرتفعات (تاوانات) وصدت كرات شديدة كرها الريفيون الذين تنأف قواتهم من جنود نظاميين تشد أزهرهم قبائل محمية

٧ منه - نقلت الطيارات الفرنسية الماء بشكل الواح جليد الى المخافر الاربعة او الخمسة المحاصرة في جهات ييبان

ان الاخبار المنبئة بفوز الكولونيل فريدنبرغ لم تقلل شيئاً كثيراً من المخاوف المتزايدة الناشئة عن احتمال وقوع حرب كبيرة ، فان الجنرال كولومبات لما وصل الى جهات ييبان وجد نفسه أمام قوة من الريفين محصنة تحصينا تاماً في خطوط متوالية من الخنادق تحميها نار مدفعية مسددة بفاية الدقة والاحكام ، وكانت أمتال هذه الاعمال موجهة في المغرب الاقصى في الماضي ٨ منه - قالت الماتان : ان الريفين مسلحون بمعدات حربية حديثة ، منها مدافع رشاشة وخمسون مدفعاً كبيراً ، وبضع دبابات ، وست طيارات . ويظهر أن الامير ابن عبد الكريم كان يرمى بهذه الحركة الى قطع السكة الحديدية بين (تازة) و (فاس) ، ولكن حملات الفرنسيين الشديدة بقيادة الجنرال كولومبات والكولونيل فريدنبرغ والكولونيل كباي أوقفت تقدم الريفين . ومتى وصلت النجيدات المرسله من الجزائر سيبدأ صد الريفين على طول الخط يقوم كثير من دعاة الريفين ببث دعايتهم في جهة (تافيلات)

تري الدوائر الفرنسية العليا ان خطر الريف على المنطقة الفرنسية في مرا كش عظيم الى حد يجعلها على مواصلة الحملة بجميع الاساليب العسكرية والسياسية والاقتصادية الى ان يفشل ابن عبد الكريم فشلاً تاماً . . . ولا يمكن القيام بمثل هذه الحملة الا بتعاون عسكري مع اسبانيا . ويقال ان الميسو بريان وزير الخارجية الفرنسية ارسل تعليمات الى السفير الفرنسي في (لندن) ليحدث وزير الخارجية البريطانية رغبة في وقوف بريطانيا موقف العطف تجاه أى اتفاق يعقد بين فرنسا واسبانيا في مرا كش ، وسيعرض سفير فرنسا على انكلترا تعضيد فرنسا للمطالب البريطانية في (الموصل) . وبلغ الامر بوزارة الخارجية الفرنسية أنها تفكر في أن تعرض على بريطانيا احدث تعديل في الحكومة الفرنسية الحالية . ويعلق أصحاب المصارف اهمية عظمى على مرا كش لان لهم مصالح حيوية في تلك المستعمرة الغنية .

٩ منه - قال الميسو بنلفه « لا تزال مخافر كثيرة محصورة تمون بواسطة الطيارات . ولا يمكن ان ننتظر عملاً عظيماً قبل وصول النجيدات المختلفة من جميع الاسلحة التي طلبها المرشال ليوتي وبعد ما يتم الحشد الجاري الاكن تضرب الضربة الفاصلة بجميع الوسائل التي تتطلبها الحالة . واننا نعمل على اتفاق تام مع الحكومتين البريطانية والاسبانية .

قالت المورنين بوست : لم يبق دليل على ان وراء القتال الناشب الآن بين المغاربة والاوربيين في الشمال الغربي من افريقية عاملاً دينياً ، ولكن روح الفطرية القومية هو الذي يخدم في صدر عبد الكريم ، وهو مظهر مؤسف من مظاهر مبدأ « تقرير المصير » الذي وصفه مستر لانسنغ خير وصف اذ قال « ان تقرير المصير عبارة محشوة بالديناميت » . وقد لقيت فرنسا الشر نفسه في تونس ، ولقيت انكثراً أخطاره في وادي النيل . فاذا استطاع عبد الكريم ان يواصل العمل بنشر دعايته الخطرة ولم يوضع لها حد فان النار تضطرم في افريقية الشمالية كلها في أقرب وقت

١٠ منه - يسافر الجنرال نياسل - المفتش العام للطيران العسكري الى المغرب الاقصى - للقيام بمهمة اقتضاها توسيع نطاق الاعمال الحربية الجوية .

احتشدت قوات كبيرة من الريفين ، واحتلوا مواقع كانت محصنة تماماً ، واتخذ الجنرال شاهبرون جميع التدابير العسكرية والسياسية لمواجهة الحال .

ألفت في (طولون) فصائل من المتطوعين لحرب المغرب الاقصى

١١ منه - بحث المسيو بنافه مع المسيو اسولا سكرتير وزارة الحربية ومع المرشال بتان والجنرال ديبيني في شئون عسكرية مختلفة .

ارسلت نجدات الى المغرب الاقصى

يظهر ان ابن عبد الكريم أرسل أخاه في شيشوان الى المنطقة الاسبانية لتجنيد رجال قبيلة جبالة .

١٢ منه - وقفت الاعمال العسكرية وقوفاً وقتياً في انتظار وصول النجيدات والمعدات الكبيرة المرسلة من الجزائر وفرنسا .

أصبح من المؤكد أن سبع طيارات لدى الامير ابن عبد الكريم ليست من الغنائم التي غنمها من الاسبانيين ، بل اشترت من انكلترا رأساً . وكثر التحدث في المقامات السياسية الفرنسية حول ما أذاعتها جريدة (ستار) الانكليزية عن محاولة رسل ابن عبد الكريم شراء معدات حربية في انكلترا . *

سافرت فصيلة سنغالية من بلاد الريف الى المغرب الاقصى

- ٢ -

﴿ من ١٣ مايو - الى ٢٠ منه ﴾

١٣ منه - تلقى المرشال ليوتى قسماً من الذخائر ، فبدأ بمركات القمع لانقاذ المخافر الامامية التي لاتزال محصورة .

بدأت قوات فرنسوية معززة بالمدافع والطائرات القتال في الصباح لانقاذ اكمة ببيان ، وتقدمت في احوال ملائمة حيث تحصن الريفيون ببنادق أنشئت طبقاً للفن الحديث

١٤ منه - انزعت القوات الفرنسوية المواقع المنيعة التي كان يشغلها الريفيون في سلسلة جبال ببيان بعد مقاومة عنيفة ، وانسحب الريفيون شمالاً وهم يقاثلون . ولما انتصف النهار كان الريفيون يتقهقرون وهم يقاثلون في كل مكان . وقد انتقد الفرنسيون عدة مخافر بءوس الحراب

وصل الى المغرب الاقصى الجنرال نياحل المفتش العام للطيران العسكري
١٥ منه - أزلت الطائرات الفرنسوية خسائر فادحة بالريفيين باستعمالها قنابل كبيرة من طراز جديد صنعت في زمن الحرب ولم تستعمل فيها لان الهدنة عقدت في ذلك الحين

ان نجيدات كبيرة مأخوذة من جميع الحاميات العسكرية في فرنسا ستسافر قريباً الى المغرب الاقصى مصحوبة بعدد من الطائرات التي تنقل الجرحى
تمكن الفرنسيون من تموين عدة مخافر

توفي الماجور مازبرج - الطيار المشهور - متأثراً بالجراح التي اصابته
تحمل جريدة (الاومانيتيه) حملات شديدة على الاعمال العسكرية الفرنسوية في المغرب وقد دعت الى اجتماع يعقد غداً في لونا برك بباريس للمطالبة بالجلء عن المغرب حالا .

١٦ منه - أوقفت قوة الكولونيل فريدنبرغ في الوسط هجوماً جديداً شديداً أمام مراكها .

١٧ منه - انقذت قوات الكولونيل فريدنبرغ مخفر بوطومنت بعد معركة شديدة استعمل الريفيون فيها مدفعين لكنهم لم يكونوا يحسنون الرماية

يزداد النشاط في بث الدعاية الريفية في ساحة (برانس) وساحة (مناس)

١٨ منه - ان المشاة الريفيين مسلحون ببنادق سريعة من طراز ماويز ، ومعدنم رشاشه ،

ومعدات حربية حديثة ، وبعدد تلفون لا فائمه المواصلات بينكم في ميدان القتال . وهم مدربون تدريباً حسناً ويجيدون استعمال التجهيزات في ساحات القتال ، ويستخدمون الخنادق في الدفاع بمأزة عظيمة ، ولستكنكم لا يحسنون استعمال المدافع الكبيرة ولا اخفاءها عن نظر العدو ؛ لذلك يضطرون الى الانقطاع عن اطلاق تلك المدافع عند ظهور الطيارات الفرنسية صاحبة التسلط في جو ميدان القتال لان طيارات الريفين لم تظهر واحدة منها حتى الآن

١٩ منه — ان قوات الريفين المحشودة في ششوان يراد توجيهها للقيام بهجمتين في وقت واحد : الاولى على الاسبانيين في (نطوان) ، والثانية على الفرنسيين في (وزان) حيث استمال ابن عبد الكريم القبائل المجاورة

٢٠ منه — وصلت نجدات فرنسية جديدة الى المغرب الاقصى

لا يزال الريفون يواصلون مهمة عظيمة تسليح القوات وحشدتها . ويقال ان ابن عبد الكريم أعلن التعمية العامة في كل بلاد الريف وجباله . تمكنت قوات الجنرال كولومبات — التي كانت تزيدها المدفعية والطيارات تأييداً عظيماً — من الوصول الى ببيان وتموين المخافر بعد قتال باهر . وقد اضطرت الى صد قوات كثيرة من الريفين وانتزاع الارض منها شبراً شبراً والاشتباك معاً بالسلاح الابيض في خنادق مغلقة وخفية عن الانظار والقتال في غابات وعرة محصنة تحصيناً حسناً يدافع عنها رجال يستبسلون في قتالهم .

— ٣ —

﴿ من ٢١ مايو — الى ٦ يونيو ﴾

٢١ مايو — أعلن رئيس اركان حرب المرشال ليوتي وصول نجدات كافية تمكن الفرنسيين الآن من اتخاذ خطة الهجوم .

يؤكدون ان الريفين يحشدون في الساحة الغربية قوات كبيرة أمام الخطوط الفرنسية .

٢٢ منه — استؤنفت الاعمال العسكرية الفرنسية بشدة ، فان قوات كبيرة محشودة في جهة عين عائشة بقيادة الجنرال دى شامبرون شرعت في عمل قوي لصد كتائب الريفين التي حادته فدخلت الحدود وأحدثت مرة أخرى بالخفاخر الفرنسية الامامية .

قرر مجلس الوزراء الفرنسي أن يطلب إلى مجلسي النواب والشيوخ اعتمادات إضافية لاجل الاصلح الحربية في المغرب الأقصى .

قام الجنرال شامبرون بحركة حربية تمكن فيها من انتقاذ مركز الورغة الأعلى بالرغم من الهجمات العنيفة التي هجمها الريفيون بقوات كبيرة أنوا بها على جناح السرعة ، وبالرغم من المقاومة الشديدة التي أبدتها قوات أخرى في مراكز محصنة تحصيناً تاماً . وقد اشتركت المدافع والطائرات في تهويل تقدم الفرنسيين ، فخرجت الطائرات ثلاثين مرة وقذفت خمسمائة قنبلة .

٢٣ منه - وردت الأنباء بقيام الريفيين بحركات عظيمة في الشمال وإن ابن عبد الكريم يعيد الآن حشد قواته .

٢٤ منه - عين الجنرال دوجان قائداً عاماً في ميدان الريف من حدود الجزائر إلى الاطلانطيك ومعه الجنرال بيليوت والجنرال شامبرون مساعدين له .

لا يزال الريفيون يحشدون قواتهم في منطقة كيفان وجهات مولاي على وأعلى دما كوم .

٢٥ منه - انسحب الفرنسيون من ستة مخافر واقعة في جهات تاونات ومولاي على لصعوبة تموينها ولأنها كانت عرضة للحصار اليومي . وقد تم الجلاء عنها لتكون الفصائل المكافئة تموينها أكثر حرية في عملها .

تلقت قوات الكولونيل كولومبات النجيدات في كيفان .

هاجت قبائل جباله الاسبانيين في جهات (تاهانوف) .

يلاحظ بعض الصحف الفرنسية أن ابن عبد الكريم عيّل الآن إلى تحويل مجهوداته إلى جهة (الجزائر) .

٢٦ منه - لا يزال الريفيون يبدون نشاطاً عظيماً . وقد وصل ٣٠٠ فارس من قواتهم إلى (سقا) والمخافر الفرنسية معرضة دائماً لرصاص الريفيين الذين يواصلون التشديد على القرى الشرقية والغربية من مخافر الفرنسيين .

٢٨ منه - رفض رئيس الوزارة الفرنسية أن يصرح لمجلس النواب بعدد الجنود الذين أرسلوا إلى المغرب الأقصى . وقال إن خسارة الفرنسيين ٤٠٠ قتيل و ٣٠٠ مفقوداً و ١١٠٠ جريح .

٢٩ منه - طلبت الحكومة الفرنسية من مجلس النواب اعتماداً بمبلغ ٣٢ مليون فرنك يكون أول دفعة لحساب الحرب في المغرب الأقصى .

٣٠ منه - أعلن مسيو ملنى في مجلس النواب أن فرنسا واسبانيا ترغبان في عقد السلم. وان ابن عبد الكريم لم يعرض على فرنسا شيئاً ما بهذا الشأن ولم يرد على الاقتراحات التي قدمتها له الحكومة الاسبانية .

استكشف في الدار البيضاء مركز للدعاية الشيوعية . وقبض على ثلاثة أشخاص وصودرت مقادير من النشرات العربية لتحرير الوطنيين على الثورة .

٣١ منه - ويظهر ان بعض الريفيين ذهبوا الى مهبورغ لشراء السلاح .

٥ يونيو - قامت الجنود الاسبانية بمبارك شديدة . أوقعت حركة قوات ريفية عديدة كانت على أهبة القيام بحركة التفاف على الفرنسيين في اتجاه (وزان) .

تؤكد الصحف الفرنسية أن قوات ابن عبد الكريم النظامية تبلغ ٢٥ ألفاً تضاف اليها القوات المحشودة من رجال القبائل وتبلغ ٥٠ ألفاً .

— ٤ —

✽ من ٦ يونيو — الى ٢٦ منه ✽

٦ منه - جلا الفرنسيون عن مخفري (سكير) و (استير) بعد ما نسفوا الاستحكامات والذخيرة وقد هاجم الريفيون فصيلة فرنسية موكلة بصيانة الامن في الجناح اليسر . ودارت معارك حامية بعد الظهر في الجناح الآخر .

٨ منه - انسحبت الجنود الفرنسية من مواقع مختلفة في جهات طاونات، بعد تدمير عدد من المراكز التي كانت نقطة للاتصال بين الفرنسيين والقبائل المحلية المنضمة الى الريفيين .

وردت الانباء بتجمع الريفيين شمال بني دركوب ، وجبال مازيان ، ومعهم المدافع والرشاشات .

٩ منه - لاتزال غارات الريفيين على مركز لوكوس متواصلة . وقد تدهورت المحاور الفرنسية الامامية في بعض المواضع بنظام حسن ، وبذل الريفيون جهوداً لاختراق الخطوط الفرنسية على ضفة الورغة الجنوبية فلم يتم لهم ذلك .

سافر المسيو بنلفه (رئيس الوزارة) في الساعة الخامسة مساء الى طولون ومعه المسيو لوران ايناك والجنرال جاكيمو ، ثم ركبوا منها طائرة في الساعة السادسة صباحاً الى المغرب الاقصى

لمحاذنة المارشال ليوتي شخصياً عن الحالة الحربية ويزورون ساحة القتال

١٠ منه - اخترق الريفيون خط الدفاع الفرنسي في أماكن عديدة من وادي فاس ،

فقررت القيادة الفرنسية نقل الالهالى غير المحاربين من وزان جنوباً على سبيل الاحتياط

وصل المسيو بنلقه والمسيو لوران ابتك الى رباط الفنج بيطرة وتحاداً ملياً مع المارشال ليوتي

١١ منه - حظي المسيو بنلقه بمقابلة سلطان المغرب الأقصى .

ازداد تشدد الريفيين قليلاً حول المراكز الاسبانية في الساحتين الغربية والشرقية .

ستؤيد بريطانيا العظمى التدابير التي تنويها فرنسا واسبانيا لحصر سواحل الريف عملاً بمعاهدة

الجزيرة

١٢ منه - ظل المسيو بنلقه والمارشال ليوتي مجتمعين الى ساعة متأخرة من الليل ودرسوا الحالة

١٣ منه - ذهب المسيو بنلقه صباحاً لزيارة القوات المرابطة في مازة وجوارها، مصحوباً بالمارشال

ليوتي والجنرال جاكو والجنرال دوجان . وزار ميدان القتال في الورغة والمخافر الامامية وبحث

مطولاً مع القواد

عقد الخبراء البحريون الفرنسيون والاسبانيون نهراً مس اجتماعهم الاول

١٤ منه - ركب المسيو بنلقه طيارة في الساعة الخامسة عائداً الى فرنسا وقبل سفره أعلن أن في

النية ارسال دبابات وتميز سلاح الجو . واعترف بأن الريفيين متصفون بالصفات الحربية ، وأن

جنودهم والجبلين على استعداد لكل نوع من القتال ، ولكن ليس لديهم سوى عدد قليل

من المدافع الرشاشات

١٦ منه - بدأت نسافتان فرنسويتان تتجولان من اليوم في مياه سواحل المغرب مع السفن

الحربية الاسبانية

احبطت الجيوش الفرنسية في منطقة وزان سلسلة اعمال قام بها الريفيون في الايام الاخيرة

بواصل الريفيون شرقي وزان القيام بحركات نصيبها الحبوط وجددوا هجومهم في القلب

على طاونات . على أن القوات الفرنسية هي صاحبة الكفة الراجعة على ما يظهر

١٧ منه - هاجم الثوار في اثناء الليل عدداً من المخافر الاسبانية المختلفة في ضواحي ريفال .

قال الامير محمد بن عبد الكريم لمراسل التيمس انه مستعد لان يصعد بالنصائح الموجهة اليه

بشان عقد الصلح مع فرنسا ، بشرط أن تقدم له قاعدة معقولة للمفاوضة . قال « ونحن نريد

الاحتفاظ باستقلالنا . ولا ننجح في سبيل الوصول الى ذلك عن تضحية كل ما هو عزيز لدينا »

١٨ منه - هجم الريفيون هجوماً شديداً على مواقع الفرنسيين الامامية في جهات (تروال) و (عويشه) الواقعة على بعد ستة كيلو مترات الى الشمال ولكن حملاته كلها صدت .

٢٢- منه وقع المندوبون الفرنسيون والاسبانيون اتفاقاً يقضى بأن تتعاون بوارج الامتين على مراقبة شواطئ المغرب الاقصى البحرية . وستحفظ كل قيادة باستقلالها ، وتكون المراقبة موجهة الى منع اشتراء الاسلحة والمعدات الحربية .

٢٣ منه - يقدر مراسل الطان في فاس القوات التي يستطيع الامير ابن عبد الكريم أن يعول عليها في القتال في الجبهة الفرنسية بمائة واثنتين وثلاثين الف رجل من رجال القتال عداسنة آلاف من النظاميين

٢٤ منه - قامت كتيبتان اسبانيتان في قسم (سبته) و (تطوان) بمناورة هجومية نحو (زادينة) لمنع احتشاد الريفيين .

٢٥ منه - أذيع منشور بتوقيع مولاي يوسف سلطان مراکش ضد الامير ابن عبد الكريم وصدر الامر بتلاوته في المساجد . وسافر السلطان صباح اليوم لزيارة قبيلة شراغه واستبدال الزعماء الذين لم يظهروا سلطة كافية لتوقيف مساعي رسل ابن عبد الكريم الذي تنتشر دعايته بنشاط بين قبائل ستول وبرانس .

يظهر أن خطة الزعماء الريفيين ترمي الى الزحف نحو الشرق لبلوغ الجهات الواقعة أمام (فاس) بطريق (وادي الابن) . وقد بلغ الفرسان الريفيون في غزواتهم طريق تازة وفاس .

غادرت البعثة النيابية الفرنسية - مدينة فاس أمس . ولما قابل أعضاؤها مولاي يوسف مستأذنين في السفر قال لهم « نذكروا مافعل أنباؤنا لاجل فرنسا في زمن الحرب العظمى . وقدموا لنا الوسائل التي نمكثنا من الدفاع ! . . . »

- ٥ -

﴿ من ٢٦ يونيو - الى ٧ يوليو ﴾

٢٦ منه - قام الامير ابن عبد الكريم بهجوم عام لقطع المواصلات بين (فاس) و (تازة)

٢٧ منه - صد الفرنسيون حملة حملها عليهم خمسة آلاف رجل من رجال القبائل المحلية المنقلبة على الفرنسيين ، تساعدها بعض الفصائل الريفية . وكان معظم القوات الريفية مرابطاً

في مكان معين على تمام الالهة والاستعداد للاشتراك في المعركة اذا نجح هجوم رجال القبائل .
جاء في بلاغ أن الريفيين الذين اشتد ساعدهم بنجدات عظيمة ضاغفوا وضغطهم على النهر
الكبير ، ولكن الجنود الفرنسية ثبتت بمساعدة الطيارات نجاح هذا الهجوم .

٢٨ منه - لم تذكر أنباء فاس خبر هجوم ريفي عام ، بل تقول ان الفرنسيين احبطوا
هجوماً شديداً هجمه الثوار في منطقة (تازة) والحقوا بهم خسارة عظيمة . والذين حاولوا
اختراق منطقة الفرنسيين من جنود الريف ارجعوا القهقري . وألفت الطيارات الفرنسية
القنابل على مواقع الثوار .

٢٩ منه - اشترك رجال القبائل الباقية على ولائها لسلطان المغرب في صد الهجوم الذي قام به
الريفيون على خط تازة وفاس وكانت تساعد القبائل الموالية للسيارات المسلحة والطيارات الفرنسية
وكانت زيارة سلطان المغرب لخط القتال باعثاً على إثارة الهمم في نفوس فصائل الوطنيين الذين
يقاتلون دفاعاً عن قراهم .

٣٠ منه - صددنا الريفيين وهم يحاولون التقدم في جنوب الوادي الكبير بشرق . ولا تزال
المعركة ناشبة .

يقدر مكاتب (الماتان) من فاس خسارة الريفيين بألف قتيل وثلاثة آلاف جريح في الهجوم
الاخير الذي توخوا منه الضربة الفاصلة بلا جدال من دون أن يقدروا عظم الخطر الذي
يستهدفون له من جراء مثل هذا العمل .

حادث لجنة التحقيق النيابية من المغرب الأقصى الي مرسليليا . وصرح رئيسها بأن الحالة كانت
حرجة ، وما زالت خطيرة . ومن الضروري القيام بهجوم عاجل لا تقاذ سمعة فرانساً ونفوذها بين
القبائل . وسيكون من المستحيل القيام بمحركات عسكرية بعد الامطار التي تقع في اكتوبر .
سافر الميسو مالفي الي مجريط ، بعد ان تداول مع الميسو بثلغه والميسو بريان أمس مساء
أول يوليو - جاء في بلاغ أن الريفيين يعززون هجومهم على الفرنسيين في دائرة واسعة
النطاق في القلب والشرق . وقد اجتساحوا الخطوط الفرنسية في أماكن كثيرة . ونشطت
الطيارات الفرنسية نشاطاً عظيماً وقذفت القنابل على المنطقة التي يقود الجنود فيها شقيق ابن
عبد الكريم في بوادان

٢ منه - جاء في بلاغ أن نار المدفعية والمشاة صددت ثلاث حملات متوالية حملها الريفيون

على معسكر القوات النقالة (في وادي اللبن) الأعلى . وحمل الريفيون حملات شديدة في الشرق في جهات وادي (أمسون) فصدّها الفرنسيون واحتفظوا بمواقعهم

لا يزال ضغط الريفيين شديداً على طول خط القتال و ينتظر أن يقع هجوم عظيم في أقرب آن أعلن رئيس الوزارة الفرنسية وفي مجلس الشيوخ أنه وقع تحرش حقيقي بفرنسا واننا لانحجم من شيء لصد المعتدي وتوطيد السلم اللائق بفرنسا . وسنمقد الصلح حينما يمكن ذلك ولكن دون أن تمس حقوقنا بسوء . وختم كلامه قائلاً « تريد فرنسا أن تساعد على المصالحة والوئام بين الشعوب الاوربية لكي تتمكن أوروبا من الثبات أمام الحملة التي قد توجه اليها . . . »

وتلاه المسيو بريان فدحض التهم القائلة بأن فرنسا تريد أن تمتدي على استقلال الريفيين وتمنع المؤن على أنواعها عنهم ، وأشار الى أن فرنسا كانت على صلوات حسنة بهم على الدوام ، وسبحا حاول افهامهم أن خطتها هذه لم تتغير معهم . وأن فرنسا مستعدة لقبول كل اقتراح يرمي الى السلم

٤ منه - هجم الريفيون يومي ٢ و ٣ يوليو غربي كينان ووجهتهم بنو قاسم ، ولكنهم صدوا بعد معركة شديدة

قدم النواب الذين عادوا من المغرب الاقصى تقريرهم الى لجنة الجيش ، وقد اظهروا فيه ضرورة القيام بعمل سريع حاسم ، وبقاء المارشال ليوتي في منصبه فان مكانته العظيمة تمكنه من القيام بعمل سياسي كبير التأثير لدى أهل المغرب ، ولكن يجب أن يمين قائد عسكري يتولى ادارة الاعمال الحربية . واقترح هؤلاء النواب تعيين الجنرال ويفند لهذا الغرض . وشاع أن المارشال ليوتي يصل الى باريس قريباً لمباحثة رئيس الوزارة

في ٦ منه - يقول مراسل (الدلي ميل) في باريس : تنظر دوائر باريس الى الحالة في مراكش بعين القلق الشديد . فقد كان الفرنسيون يستخدمون حتى الآن قوات كبيرة من المغاربة المسالحين لحراسة خطوط المواصلات وللمحافظة على بقاء خط القتال متصلا من الغرب الى الشرق وقد انضمت هذه القوات الى صفوف الامير ابن عبد الكريم . وانتشرت روح التمرد بين الجنود المغاربة في (فشتاله) و (غيائة) و (تسول) وغيرها ، وانضم جانب من هذه الجنود فعلا الى ابن عبد الكريم ، و ينتظر الباقون فرصة مناسبة ، وصار من المحقق الآن أن مستقبل النفوذ الفرنسي والاوروبي بشمال افريقية في خطر ، وان مصر فاس وسائر البلاد معلق في كفة

بإيران القضاء . وتعرف الدوائر الفرنسية علنا بأن ناصية الحال في قبضة الامير ابن عبدالكريم
لافي يد القوات الفرنسية .

قال رئيس الوزارة الفرنسية : ان امتداد خط القتال على طول ثلاثمائة كيلو متر يجعل من
لصعب المحافظة على بعض الخافر المنفرقة لحماية القبائل وذلك لأن حالة المواصلات لا تسمح بحشد
لنجدات سريعاً في الاماكن المهددة كما كان يجري في الحرب المعظمى . ثم ان الخطة العسكرية لحشد
لقوات تهيئة للقيام بعمل حاسم قضت بأن نترك وقتياً القبائل التي يدفعها الريفيون الى الانشقاق
بوسائل الضغط والارهاب . وليس من المدهش أن تأتي الانباء بوصول الريفيين الى جهات
بأنسحاب الجنود الفرنسية انسحاباً جزئياً قضى به جمع القوات . ولكن رغم ذلك التقدم وما
يترتب عليه انفصال القبائل يجب ان يعلم الجميع ان مدينة (فاس) في مأمن لا تخشى خطراً من رجال
ابن عبد الكريم

صرح المسيو مالفي لمندوب (الجورنال) في مجرى بأن الاتفاق بين فرنسا واسبانيا أصبح
مراً تاماً ، وانه سواء في المفاوضة في الصلح أو في مواصلة الحرب ستعمل الدولتان بالاتفاق على
مقاومة الخطر مع احتفاظهما بالاستقلال في تنفيذ العمل .

تلقت الوزارة الفرنسية أمس نص الاتفاق الفرنسي الاسباني المشتمل على شروط الصلح
والمراد عرض الصلح علناً لا عرض افتراحت شبه رسمية بواسطة وسيط لاجل مفاوضات سرية .
ويقال انهم سيضمنون لابن عبد الكريم وأهل الريف حربهم التامة في الشؤون الزراعية والاقتصادية
والادارية ، تحت سيادة سلطان المغرب الأقصى الاسمية ، وفي دائرة الحدود التي تعين للريف .
يحتمل ان تكون هذه الحدود من جهة الفرنسيين تابعة لمجرى نهر ورغة . وقد يطلب من
لامير ابن عبد الكريم التسليم في بعض المطالب العسكرية الخاصة بالسلاح ولكن لا يطلب منه
تسليم كل معداته الحربية وخصوصاً ألف بندقية السريعة الطلقات الموجودة لديه الآن . وهذه
لشروط مع اعتدالها (!) لا تطابق مطالب عبد الكريم التي جاء بها منذ حين قريب رسول
سباني بعد ما بحث زعيم الريف .

عين الجنرال نولان - قائد الفيلق الثلاثين - قائداً عاماً في المغرب الأقصى . وقد أمضى معظم
حياته العسكرية في أفريقية الشمالية وسورية . وقد عرض هذا المنصب أولاً على الجنرال
كروما فرفضه

فشل الريفيون في حثهم الشديدة على مجموع مرا كز القوة السيارة في أعلى نهر اللين واصيبوا بخسارة عظيمة بعد معركة شديدة

صعدنا الريفيين في يوم ٥ الى ٦ يوليو بعد معركة شديدة . وكانوا يهاجون قواتنا السيارة في باب (نازة) . وصعدنا حملاتهم في ليل ٥ يوليو على جميع المرا كز الفرنسية بجوار عين معتوف في أعلى نهر اللين

غادر النساء والاطفال (نازة) على سبيل الاحتياط ! بالنظر الى تسلم الريفيين الاخير صدر بلاغ من وزارة الحربية الفرنسية أشار الى « أنباء السوء التي تنشر عن الحوادث الحربية الأخيرة التي وقعت في جهة (نازة) في شرق المغرب الأقصى » وقال « ان بعض القبائل الموالية لنا تخلى عننا قسم منها ، ففتحت بذلك ثغرة في خطنا الامامي دخل منها الريفيون ، وهاجوا جنودنا النظاميين الذين أخذوا الآن في الاستيلاء على خير المواقع لطردهم فيجب على الرأي العام والحالة هذه أن لا ينجزع لحوادث لا بد منها في حرب استعمارية »

وأشار البلاغ الى الصعاب التي يعانيها الفرنسيون بسبب تحسن حالة جيش الربف من حيث العدد والعدد والمهارة العسكرية اذ اقيست بحالته منذ عشر سنوات « فقد أصبحت هجماته أكثر عدداً وأحسن تنسيقاً وفي مساحة أوسع نطاقاً . وهو يحفر المغاور ويبني الخنادق ويقيم الاسلاك الشائكة ، فاذا كان من خطط الجيوش الحديثة المفاجأة بضربة حاسمة فان الافراط في التوسل بهذه الخطة ينشأ عنه استياء القبائل الموالية ، وتسلسل الى خطو طنا قوات العدو . فعلينا اذن أن لا ندعش ولا ننجزع اذا صادفنا صعوبات في ميدان مترامي الاطراف ، وأدت بنا الى التقهقر في بعض المواضع لاجل اعادة تأليف قواتنا وحشدها ، فان هذا التقهقر عهد الطرق لسكرات أشد وأقوى »

جاء في برقية من طنجة أن قوات البوليس الدولي طلبت امداداً قوامها سبعة آلاف مقاتل مخافة الاغارة على المنطقة الدولية

في ٧ منه . جاء في بلاغ اسباني أنه في أثناء حركات البوليس و امداد بعض النقط في خط الاسبانيين تكبد الريفيون خسائر فادحة وتركوا عشرة قتلى في ساحة القتال وبلغ مجموع القتلى والجرحى من الاسبانيين ٤ من الاوربيين و ٣١ من الاهالي .

روت بعض الصحف أن تركيا تعاون عبد الكريم ، فطلبت الحكومة التركية الى سفيرها في باريس أن ينفي ذلك . وقد أباح فتحى بك وزارة الخارجية الفرنسية ان تركيا - الحريصة على الصداقة القديمة بينها وبين فرنسا - لا تتدخل فيما يجري في خارج حدودها الوطنية

الفصل الخامس

بطولة الريفيين ومراحي حركتهم

﴿وصف منزل الامير ابن عبد الكريم﴾

.. بقلم مراسل (شيكاغو تريبيون) الامريكية -

قابلني ابن عبد الكريم لأول مرة في يوم ٩ يونيو (١٩٢٥) في بناية من بنايات مركز القيادة العامة في (اجدير) وهو يدير منه حركة القتال في ثلاثة ميادين مختلفة . وكانت تلك البناية مؤلفة من دورين (طابقين) ومساحتها لا تتجاوز ثلاثين قدماً مربعة وعلوها لا يتجاوز خمس عشرة قدماً ، وقد حفر تحتها الخنادق وأقيمت فوقها الاستحكامات ليلجأ إليها عبد الكريم ورجال حاشيته اذا شنت طائرات العدو الغارة على المدينة . ولا يزيد اتساع الغرفة التي استقبلني فيها الزعيم عن عشر أقدام أما طولها فيمتد على طول البناية كلها . وقد استعير فيها من النوافذ بثلاثة نقوب صغيرة ، وعلقت على أحد جدرانها خمس بندقيات اسبانية ومسدس كالذي يجمعه الضباط وتلفون غنم الريفيون من الاسبان ، وهو متصل بجميع خطوط القتال ويقضي عبد الكريم أمامه ثمانى عشرة ساعة يومياً في اصدار الاوامر والتعليقات الى ضباطه وجنوده . وأول ما استوقف نظري عند وصولي الى مركز قيادته بساطة المكان وخلوه من مظاهر الابهة والعظمة ولم يكن على الباب الخارجى سوى حارسين أما في الداخل فلم أر حرساً على الاطلاق كما أنه ليس في مظهر عبد الكريم ما يميزه عن سائر مواطنيه حتى البسطة منهم . وهو يرتدى برنساً بنى اللون وطربوشاً أبيض وينتعل خفين كالذين يلبسهما أهل المغرب الأقصى ومع ذلك يسهل على الاجنبى تمييزه عن رجال حاشيته . ووجهه ممتلئ ببضوي وفيه من الملامح العربية ما يكفي لتعريف ادعاء صاحبه وهو أنه من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) وله عينان واسعتان غير أنهما متقاربتان وقد أطلق لحيته وشاربيه فزينابساودهما بياض وجهه وأسنانه . فلما دخلت عليه حياني تحية مرحب وصافحني على الطريقة الاوربية ودعاني الى الجلوس على وسادات وضعت على الارض في الطرف الآخر من الغرفة مقابل مكتبه . فنزعت حذائي وجلست أما هو فقام الى التلفون وخطب أحد قواده ثم عاد الى

محدثي وترى الى جاني. وقد لاحظت أن في رجله اليسرى عرجاً خفيفاً فلما خرجت من حضرته أخبرني بعض رجاله انه أصيب بكسر في رجله هذه وهو يقفز محاولاً الفرار من قلعة في مليلة سجنه فيها الاسبان سنة ١٩١٩

﴿ كيف يحارب الريفيون ؟ ﴾

- بقلم مراسل (النيمس) في رباط الفتح -

لقد أخلى الفرنسيون ثلاثين حصناً من سلسلة الآكام المراقبة فيها جيوشهم . والريفون تحصنوا في خنادق احتفروها على طراز في دقيق وابدعوا في تحصينها . ومنحدرات تلك الآكام صخرية مغطاة بغابات كثيفة وحراج ائيشة . فالمهارة التي حصنت بها خنادق الريفين في مثل تلك المنحدرات وضيقها كل ذلك مما يجعل تدميرها بالمدافع امراً عسيراً . وهكذا فقد عجزت حتى المدافع الكبيرة من عيار ١٥٥ مليمتراً عن اجلاء الريفين المشهود لهم بالبسالة عن تلك الخنادق . ومما يستحق الذكر ان قنابل الافرنسيين التي تصيب المرمى تقتل كثيراً من الريفين ولكن الذين ينجون من القنابل يتابعون هجومهم بشجاعة غير هيايين نار الاعداء حتى يتمكنوا من تناول الجنود الافرنسيين بنيرانهم عن مرمى قريب . وفي كثير من الحالات كان رجال القبائل يثبتون في خنادقهم بالرغم من اعمال المدفعية الهائلة وهم يتابعون اطلاق النار بكل طمأنينة وفقاً للأوامر الصادرة لهم .

وقد ظن في بادئ الامر ان استبسال الريفين الى حد التهور ناتج عن قلة اختبارهم وغمسهم بأساليب القتال الفنية وانهم لا يلبثون ان يتناقص عديدهم تدريجاً . ولكن الحقيقة جاءت مخالفة لهذا الظن لان الريفين ما انفكوا يظهرون استخفافهم بالموت وشجاعتهم الفائقة . وليس ثمة أقل دليل على ظهور التراخي في صفوفهم ، كما ان رباطة جأشهم حيال كل أسلوب من أساليب القتال الحديثة ظلت هي هي ولم تتبدل .

ومن المستحيل ان يتمكن احد من تقدير عدد المقاتلين في الجيوش الريفية بالنظر لسرعة حركاتهم وكثرة تنقلهم وكل تقدير من هذا القبيل هو تقريبي . اما غذاؤهم فمقتصر على رغبين بدون ادم في اليوم لسلك واحد منهم وعلى هذين الرغبين بزحفون ويحفرون الخنادق ويحاربون وهناك العصابات المديدة دأبها الاغارة على صفوف الافرنسيين وارهاب سكان القرى . وبالنظر لسرعة هجومها وحركاتها فمن المتعذر مطاردتها ولكن الاهالي - بمساعدة الجنود غير النظامية - يبدلون قصارهم لاجتناب اخطار تلك العصابات جهد الطاقة .

ذلك فضلا عن ان عبد الكريم لا يفتأ ينشر دعايته وراء الحدود فيوزع الذشرات والرسائل واكثرها تقع بايدي الافرنسيين اما عن طريق القبائل المخلصة او عن طريق آخر وفي معظم تلك الرسائل يؤكد بانه حازم على دخول فاس قريبا ويسمى اسماء المواقع التي أخلاها الافرنسيون مدعياً انه امر عدداً كبيراً منهم الى غير ذلك من أساليب الدعاية والترويج . والحقيقة انه حاول مراراً ان يخرق قلب الافرنسيين ليزحف على فاس ولكنه في كل مرة كان يخفق

وعلا لا ينكر ان الحالة في فاس هادئة لم تضطرب ، ولكن سكانها متعجبون من بطء حركات الجيوش الافرنسية وسرعة حركات الريفيين غير طامنين ان المدفعيات الكبيرة وسائر معدات القتال التي يحارب بها الافرنسيون تحول دون السرعة في حركاتهم بعكس الريفيين الذين يحاربون برغيفين في النهار وعدة قراطيس للبنديقيات ولا يحملون سواها .

اما ذخائر الريفيين فوفيرة ومعظمها مما كسبوه من معاركهم مع الاسبانيين ومواسمهم في هذه السنة كافية لتووينهم ولا ينكر ان هنالك عددا من الضباط الالمانيين يحاربون في صفوفهم ولكن الفضل في ثباتهم عائد الى شجاعتهم وعلى نوع خاص الى المقدرة التي امتاز بها ابن عبد الكريم في الادارة وتنظيم الصفوف بحيث يعجز اى اوروبي كان عن ادارة تلك البلاد بمقدرة ابن عبد الكريم ما لم يكن قد قضى عمراً طويلاً في الريف

﴿ ابن عبد الكريم يتكلم ﴾

— تعريجه لمراسل (شيكاغو تريون) الامريكية —

« لقد حاربت اسبانيا اولاً لاننا لا نعترف بمعاهدة (الجزيرة) التي قسمت الريف الى مناطق شتى شتمتها بحمايات اجنبية فقضت على استقلالنا الذي اعترفت به الدول العظمى حتى ذلك الحين . وانتم ترون بنفسكم ثمرة جهادنا وأقل ما يقال عنه ان جانباً كبيراً من بلاد الريف اصبح مستقلاً . » لقد ظلت علاقاتي مع الفرنسيين على صفاء ووداد الى امد قصير ، غير انهم ما فتئوا في السنتين الاخيرتين يناوؤن مندوبيّ ويقبضون على رسلي ، ويضربونهم ، ويصادرون البضاعة المرسلة الىّ في أثناء اجتيازها حدود منطقة تينا . وقد اعربت لهم غير مرة - منذ شرعنا في حركتنا الاستقلالية - عن رغبتي في تسوية مسألة الحدود التي تفصل منطقتهم عن منطقتنا فلم يلبوا دعوتي حتى كانت سنة ١٩٢٣ فطلب الي المرشال ليوتي أن أرسل اليه مندوباً عني الى رباط الفتح ففعلت

ولسكنهم تجاهلوا وجوده ، وأخبرني الجنرال شبران يومئذ أنهم عزموا على التوغل في منطقة نهر «الورغة» . وفعلوا طلبوا من جنودى الذين كانوا يشترتون ويبيعون في تلك الجهة أن يجلبوا عنها . ولما كنت منهمكا في ذلك الحين بمحاربة الاسبان أذعنت الامر مكرها ثم عاد الفرنسيون فطلبوا في شهر ابريل الماضى استرداد جنودى المرابطين في منطقة بني زروال مع أن هذه المنطقة ريفية من اقدم المصور الى الآن . وهب انه كان في نيتى أن أجيب الفرنسيين الى طلبهم فانهم لم يتركوا الى الوقت السكافي للتفكير بل أوعزوا الى طياراتهم بالقاء القنابل على رجالي فاضطرت الى خوض غار الحرب لادافع عن حقوق الريفيين

«فيتبين لكم مما تقدم أن خطى دفاعية لا هجومية كما يزعم أعدائي ، ونحن نطالب أن يحترم الفرنسيون الريفيين في منطقتهم كما أننا مستعدون لان نحترم حقوق الفرنسيين في منطقتنا . وقد كان اطلاق القنابل في مقدمة العوامل التى حملتنى على التدابير العسكرية اللازمة للدفاع عن سلامة بلادى .. »

﴿ في سبيل الحياة ﴾

- من رسالة ابن عبد الكريم الى جمعية الطلبة في تونس آيرس (١) -

لا يوجد في هذه الدنيا حق للام أقدس وأرسخ من حقها في أن تحكم نفسها بنفسها ان سكان المغرب الاقصى قد هبوا اليوم للحرب في سبيل استخلاص استقلالهم الذى جعلته أوربا ألوبة فيدها . وان الحرب العظمى قد خوات بعض دول أوربا الطاعة الجشعة أن تمتلك الاراضي التى تريدها . ولقد كفى الشعوب العربية ما عانتة من الخنوع لئير الانكيز والفرنسيين والظليان . وها ان اخواننا المصريين خطوا الخطوة الاولى ، ولنعلم الدنيا أننا لن نكون وراء مصر في الحرص على استقلالنا .

لقد دنت الساعة التى تقول فيها الجزائر وتونس وطرابلس الغرب كلتنهن ، وسيجتمع أولادهن تحت أشعة الشمس المقدسة التى انفجرت أنوارها بيدي ، وسيبرق النور في مراكش المستقلة وفي مصر المستقلة ، تحت تلك الشمس . وحينئذ فان الشعوب العربية - التى خدمت الحضارة خدمة عظمى - تعيش حرة مستقلة .

(١) نشرتها الصحف الالمانية ، ونقلها مراسل جريدة (اقدام) التركية في برلين الى جريدته برسالة تاريخها ٢٠

يونيه سنة ١٩٢٥

الخاتمة

انتهى الآن من وضع هذه الرسالة التي تتضمن سيرة بطل خالد قد قام وحفنة من رجاله تجاه
ولتين قويتين قضت احدهما بالامس على ملك أجداده في ديار الاندلس. ثم جاءت اليوم تمديدها
لى ابتلاع ديار المغرب ، فاصابها في تحفها هذا ما أصاب اليونان في الاناضول ، فقد دارت عليها
لدوائر وطحنها رحي الحرب طحناً فاصبحت تقنع بالسلامة بعد ان كانت تحلم بانشاء مستعمرة
سبانية جديدة في تلك المعالم تكون نواة لاعلاء المجد الاسباني

واننا لعلى يقين بأن العالم العربي خاصة والشرقي عامة يشعر في هذه الساعة- التي يصد فيها
بن عبد الكريم الاجانب عن وطنه- بأن دموع الاسى التي كانت تنهمر على ملك الاندلس تتبدل
لى دموع فرح وسرور ، وبأن التاريخ سيخلد اسم البطل الخالد ابن عبد الكريم بين
صفحاته منقوشاً بالذهب ، مقرونا بالاعجاب والاجلال . ولذلك وجب ان تحفظ ترجمة حياة
لامير في الصدور ، وان يلقنها الصغير والكبير ، لتكون درساً مفيداً للامم الضعيفة وعبرة
لشعوب المغلوبة على أمرها ، لتعلم ان قوة الايمان ومضاء العزيمة هي افعال في النفوس من قوة
لا-اطيل والدبابات والطائرات ، وان لله في خلقه رجالاً اذا أرادوا أراد ، و« كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »



فهرس

صفحة		صفحة
٢٣	ذكرى الاندلس في المغرب مؤتمر الجزيرة الخضراء الريـسولى الامير عبد المالك	٣ تقديم الكتاب
٢٥ - ٣٤	مسألة طنجة وحادثة أغادير الفصل الثاني	٤ كلمة الناشر
	﴿سيرة الامير﴾ مولده ونسبه نشأته أحدث صورة له أوصافه أخلاقه نبوغه ومواهبه قبل الحرب العامة في الحرب العامة بعد الحرب العامة اسباب ثورته نمى السكرياج الانتماء للأندلس الرصاصه الاولى الجمعية الوطنية للميثاق التومى العلم الريفى حاصلة الجمهورية الريفيه صورة الامير في مركز القيادة	٥ المقدمة :
٣٤ - ٣٧	أقوال الاجانب والصحف في الامير	التضال بين الشرق والغرب
	مقالة (الديلى اكبرس) رسالة السكاين هاوكس رسالة مراسل (المورنين پوست) كلمة السكاين بينان كلمة مراسل (التيمس)	الفصل الاول ﴿مقدمات تاريخية﴾
		٧ جغرافية بلاد المغرب الاقصى
		٨ خريطة الريف والمغرب الاقصى
		﴿تاريخ المغرب﴾
		١٠ تمهيد
		١٠ العهد القديم
		١١ العهد العربى
		١٢ عهد الاستقلال :
		الدولة الادريسية
		الدولة الفراوية
		دولة المرابطين
		دولة الموحدىن
		الدولة المرينية
		الدولة الوطاسية
		الدولة السعدية
		الدولة الحسنية
		فرنسا في مراكش
		١٩ اسبانيا والمغرب
		قبل جلاء العرب عن الاندلس
		بعد جلائهم عنها

صفحة

مقالة المسيو أميل بوري

كلمة المسيو مارساليك

تصریح المرشال لبوتي

كلمة المريكز دي سيجونزاك

كلمة المستر كنورثي

مقالة (دويتشه الجينية تسايتونف)

رسالة مراسل (الطان)

٣٧ الادارة والاصلاحات

٣٨ الاعمال السياسية ، ووفود الريف

٤٠ الريفيون والمسلمون :

خطاب الامير الى العالم الاسلامي

منشور الامير على جميعات الهلال الاحمر

تصريحات الامير لمراسل الديلي ميل

٤٣ في سبيل السلام :

كتاب الامير الى مستر مكندول

كتابه الثاني اليه

٤٥ - ٦٦ الفصل الثالث

﴿ حرب الريف مع اسبانيا ﴾

الجيش الريفي

التجنيد العام

هل في الريف ضابط اجانب ؟

الحرب سنة ١٩٢١

٢ ١٩٢٢

موقعة الحسيمة

مفاوضات الصالح

الحرب سنة ١٩٢٣

موقعة داغيت

مؤتمر تطوان

رسالة الاسبان الى الريفيين

جواب الريفيين

معارك اغسطس

الانقلاب في اسبانيا

صفحة

الحرب سنة ١٩٢٤

تصريحات ملك اسبانيا

ديكتاتور اسبانيا

المبارك الحاسمة

اجتماع تطوان

انسحاب الاسبان من الداخل

شروط الهدنة

الجلالة

المنطقة الدولية

٦٧ نصيحة لويد جورج لمن يحاربون الريف

الفصل الرابع

﴿ فرنسا والريف ﴾

٧٠ - ٧٢ قبل الحرب :

مسألة الحدود عند وادي وروعة

قلق المرشال لبوتي

تصريحات الامير

٧٢ - ٨٥ الحرب بين الريف وفرنسا

١ - (من أول مايو سنة ١٩٢٥ الى ١٢ منه)

٢ - (من ١٣ منه الى ٢٠ منه)

٣ - (من ٢١ الى ٦ يونيو)

٤ - (من ٦ منه ٢٦ منه)

٥ - (من ٢٦ منه الى ٧ يوليو)

٨٦ - ٨٩ الفصل الخامس

﴿ بطولة الريفيين ومراي حركتهم ﴾

وصف منزل الامير

كيف يحارب الريفيون ؟

ابن عبد الكريم يتكلم

في سبيل الحياة

٩٠ الخاتمة

